

يعامل العالم، ويأيتها الشعوب المضطهدة اتحدوا!

دمشق - ص - ب (35033) - تلاكسي (3349208) - أنترنت: (WWW.KASSIOUN.ORG) - بريد إلكتروني: (GENERAL@KASSIOUN.ORG)

## تحرير الأرض قادم!!



### الافتتاحية

## الجيوب والاختراقات.. و ضمانات وحدة البلاد

◀ هيئة التحرير

يزداد القلق حول مستقبل تطور الأوضاع في البلاد، فمن جهة تتصاعد وتيرة التدخلات الخارجية في شؤونها ومحاولة التأثير على اتجاهات التطور فيها، ومن جهة أخرى يزداد الشحن داخلياً باتجاهات مختلفة، وأخطرها على الإطلاق الشحن الطائفي من أكثر من طرف.. ولا يبدو في الأفق المنظور أن الأمور سائرة نحو الحل، بل يبدو أنها تسير نحو مزيد من التعقيد.

والسبب الأساسي في تعقد الأمور هو التدخل الخارجي السافر الذي يسير على درب تحقيق الفوضى الخلاقة، وهذا الأمر طبعاً لا يعفي الأطراف الداخلية من مسؤوليتها فيما آلت إليه الأمور.. ابتداءً من الدولة التي ساهمت سياساتها السابقة في وصول الأمور إلى ما وصلت إليه، وكذلك معالجتها الحالية للأزمة التي اتسمت بالتأخر والتردد وأحادية المعالجة، ناهيك عن الأخطاء الفادحة التي أثرت على مجرى الأحداث بالمعنى السلبي.. وانتهاءً بالحركة السياسية بمختلف أطيافها المتهككة وغير القادرة على التأثير في الشارع بالشكل المطلوب، بل وحتى المقطوعة الاتصال به في أحيان كثيرة.

لذلك بقيت حركة الشارع الناشئة تحت تأثير عوامل أخرى عديدة منظورة وغير منظورة، والواضح اليوم أنها تتعلم من خلال حركتها، وحين نقول حركة، لا نقصد الحركة على الأرض فقط، وإنما نقصد أن البلاد تشهد نشاطاً سياسياً متصاعداً للجماهير التي تدخل حلبة السياسة من أبواب عديدة، إن كان بالتفكير أو القول أو الفعل.. ولا بد من التأكيد أن مستقبل البلاد مرتبط بتطور النشاط السياسي المتصاعد للجماهير، والذي يجب ملاقاته وحمايته من مختلف التأثيرات الغربية عنه والضارة به وبالبلاد.

والتدخل الخارجي الوقح اليوم يحاول أن يظهر من خلال إجراءاته وتصريحاته وكأنه المدافع عن حركة الشارع وحققها بالتعبير، ولكن هذا في الواقع هو آخر ما يهمه، فهو بالأحرى يريد أن يستخدم ما يجري لتدمير أهداف أخرى تماماً، وجوهرها إنهاء دور سورية الإقليمي، وضرب جبهة الممانعة والمقاومة، وإنهاء الصراع العربي-الإسرائيلي لصالح المخطط الإمبريالي الأمريكي-الصهيوني، وتكريس انتصار الليبرالية الاقتصادية على الأرض سياسياً وبشكل نهائي.

ولكن مواجهة هذا التدخل الخارجي الذي نراه اليوم بأعين، والذي سيزداد خلال الأيام والأسابيع المقبلة، غير ممكن دون استكشاف وحصر ومحاصرة الثغرات والاختراقات والجيوب التي صنعها وطورها خلال الفترة الماضية، فالتدخل العلني الحالي هو محصلة ونتيجة لتدخل قديم، علني أحياناً، ومستتر أحياناً أخرى، بعضه تمت رؤيته بالعين المجردة وهو سهل التقدير، وبعضه الآخر لا تراه إلا البصيرة وصعب التقدير.

ولكن الأكيد أن معرفة وحصر هذه الاختراقات والجيوب هو الكفيل بإحباط التدخل الإمبريالي العلني الخارجي الذي يجري اليوم بشكل سياسي وإعلامي، والقادر على التطور غداً بأشكال أكثر خطورة.. إن التدخل الذي نراه اليوم يهدف إلى تدمير وقطف نتائج كل التآمر السابق الذي استند على نقاط الضعف التي أنتجت السياسات الداخلية المختلفة بلا أي شك.

وإذا أردنا أن نحصر الآن أهم الاختراقات والجيوب التي مهدت وتمهد للمخطط الإمبريالي الأمريكي-الصهيوني اليوم فهي:

١ - **الاختراق في المجال الاقتصادي- الاجتماعي:** بعد كل ما يجري اليوم لا يمكن القول إن السياسات الاقتصادية- الاجتماعية التي نفذت في المرحلة السابقة، وخاصة خلال السنوات الخمس الأخيرة، كانت بريئة، فمن الناحية العلمية والمعرفية كان معروفاً مسبقاً أين مآلها.. ومن الناحية العملية التجريبية، واستناداً إلى تجارب الآخرين، كانت معروفة بنتائجها مسبقاً.. ولكن الذين روجوا لها وقاموا بتنفيذها، غطوها بستار كثيف من القنابل الدخانية والأرقام الكاذبة، ومارسوا تلاعبات وابتزازات كبيرة، واستطاعوا أن ينجحوا إلى حين في تضليل المجتمع والدولة، ولكن بما أن الأمور تقاس بنتائجها في نهاية المطاف، فقد استفدوا رصيدهم ورحلوا وكان شيئاً لم يكن، مع أن المطلوب مساءلتهم ومحاسبتهم ومحاكمتهم على ما يجمع عليه المجتمع بوصفه جرائم اقترفوها بحق الشعب السوري والاقتصاد السوري والأمن الوطني السوري.. إن ما نغاني منه اليوم هو جزء كبير منه من صنع أيديهم.. إن فهم هذه المرحلة وسياساتها، ومعالجتها جيداً هو ضمانة للمستقبل ودرس هام يجب أن نستفيد منه جميعاً.

٢ - **الاختراق في المجال السياسي- المجتمعي:** إن حجم الخلايا النائمة في المجتمع، المسلحة أحياناً، لا يمكن تفسيره بتقصير أمني بحت فقط، إنها من جهة تعبير عن وضع اجتماعي ازدادت فيه مساحة الفقر والبطالة، التي خلقت التربة لمختلف أنواع التطرف التي يمكن لمن يريد تنظيمها أن ينظمها، إن كان من خارج الحدود أو من داخلها.. وكل ذلك جرى على أرضية فساد واسع كان المجتمع مكبلاً وغير قادر على مواجهته.. لقد تبين أن الفساد الذي فتح حدود البلاد أحياناً، والذي ربي على ضفافه مجموعات من المهتمشين المستفيدين من فتاته، هو الحاضنة الأساسية لكل الاختراقات التي جرت في المجتمع، والتي يحاول اليوم نتاجها التطفل على حركة الشارع والتستر بها والاختباء وراءها محولاً إياها إلى دروع بشرية له.. وهنا من المهم إعادة التفكير بكل أشكال التمويل الخفي لما سمي بمؤسسات المجتمع المدني، وعندما يتبين اليوم أن هذا الاختراق قد استخدم دور العبادة وما بحكمها وصولاً إلى الإنترنت مروراً بالنشاطات الخيرية، فإن النجاح النسبي لهذا الاختراق إنما هو تعبير مكثف للضرر الذي ألحق بالحركة السياسية للشارع السوري على مدى عقود، والتي كانت بتنوعها تعبيراً عن الوحدة الوطنية الحقيقية العابرة للقوميات والأديان والطوائف.

٣ - **الاختراق بجهاز الدولة:** إن منطق الأمور يقول ويؤكد أن جهاز الدولة لا يمكن أن يكون بمنأى عن هكذا مخطط كبير، وهو في ظل انتشار الفساد وانخفاض مستوى الحريات السياسية في البلاد يصبح أكثر قابلية للاختراق على مختلف مستوياته، وإذا كانت هناك خلايا نائمة في المجتمع فلماذا يجب أن ننفي احتمال وجود خلايا نائمة خبيثة في جهاز الدولة نفسه؟ والأخطر أن تكون هكذا خلايا موجودة في منظومة القوة لدى جهاز الدولة..

إن الممارسات الأمنية غير المبررة التي حدثت مؤخراً إن كان في الاعتقالات أو في المواجهات.. والتي خرجت عن دائرة حد الكفاية الضرورية لمواجهة من يحمل السلاح والتي سببت جروحاً عميقة غائرة في جسد المجتمع والتي لم يكن لها مبرر على الإطلاق، تطرح تساؤلاً مشروعاً حول طبيعة ما جرى: هل كلها مجرد أخطاء سببها الجهل وعدم التدريب المناسب لمواجهة الأوضاع المستجدة؟ أم أن هنالك شيئاً آخر.. أم أن الاختراق الخارجي والخلايا النائمة كانت موجودة حتى هنا؟

إن التاريخ القريب في السنوات الماضية قد أكد لنا أن جهاز الدولة وفي أعلى مستوياته قابل للاختراق، فهل يمكن تكرار ذلك؟ لقد قلنا سابقاً إن ظاهرة عبد الحليم خدام تمثل رأس جبل الجليد، والبواخر عادة تصطدم في البحار بقاعدة جبل الجليد.. إن دراسة احتمال الاختراق الخارجي في هذا الميدان بعناية وعلى أساس موضوعي-سياسي وليس فقط تكتيكي- فني هو ضمانة لتفكيك أحد الصواعق الأساسية للتفجير الداخلي الكبير الذي يجري التحضير له على قدم وساق من جانب أعداء الخارج وأعداء الوحدة الوطنية في الداخل..

إن البلاد أمام مفترق طرق، والدراسة العميقة والسريعة للمرحلة السابقة والحالية، والخروج باستنتاجات سريعة وإجراءات تنفيذية، ستعافظ على وحدة البلاد، وستعزز الوحدة الوطنية، وستحبط كل المؤامرات والمخططات الخارجية الإمبريالية الغربية- الأمريكية- الصهيونية، وفي ذلك ضمانة لكرامة الوطن والمواطن.

## سورية على مفترق طرق... ص 6- 9

### الانفتاح وتداعياته الاقتصادية والاجتماعية..

إرهاق الصناعة الوطنية والميزان التجاري والأسواق المحلية .... 5

### اللبرلة والاحتجاجات الشعبية..

طلاب الاقتصاد يتحدثون عن تدمير الاقتصاد الوطني... 10

## فزاعة «القاعدة» تظهر فجأة في تونس

قتل عقيد وجندي في الجيش التونسي الأربعاء في مدينة الروحية شمال غرب تونس خلال تبادل لإطلاق النار مع رجال «يشتهر في انتمائهم للقاعدة»، ليصبحا بذلك أولى ضحايا «الإرهاب الدولي المنظم» في تونس بعد بن علي، كما ذكرت مصادر تونسية.

وأعلن مصدران تونسيان «إنها المرة الأولى منذ الثورة (التونسية التي أدت إلى الإطاحة بالرئيس زين العابدين بن علي في 14 كانون الثاني) يقتل إرهابيون جنوداً تونسيين»، وأكد هذا التصريح مصدر قضائي.

وقال مصدر «مطلع» إن الرجلين اللذين فتحا النار على القوات التونسية «مشبهان كثيراً في الانتماء إلى القاعدة»

وكان «يحملان حزامين ناسفين»، وهما «إرهابيان». وحسب إذاعة محلية فقد وقعت المواجهات بين الجيش ومجموعة مسلحة من تسعة أشخاص يحملون الجسبيات التونسية والجزائرية والليبية وينتمون إلى تنظيم القاعدة». وسبق للسلطات التونسية أن أعلنت الأحد اعتقال جزائري وليبي يشبه بانتمائهما إلى تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وبحيازة متفجرات في نكريف (جنوب) بمنطقة تطاوين.

ويبدو أن فزاعة القاعدة سيجري استخدامها على نحو واسع في تونس ما بعد الثورة ضمن استكمال سيناريو إجهاد نتائجها لجهة إسقاط نظام بن علي ومرتكزاته السياسية والاقتصادية الاجتماعية بالكامل، دون الاكتفاء بإسقاط بن علي فحسب، وهو ما يتبدى في تجدد الاحتجاجات الشعبية تأكيداً على أهداف الانتفاضة وما يقابلها من قمع شديد من جانب السلطات الحالية.

## ضم العمال إلى اللجنة الاقتصادية

## مسؤولية كبرى في الدفاع عن الحقوق والنضال بلا هوادة

## الانفتاح على الطبقة العاملة شرط الدفاع عن الوطن

◀ عادل ياسين

من المؤكد أن الأحداث الجارية وتطوراتها قد أصابت بشظاياها كل المجتمع السوري، وجعلت الأسئلة تتوارد من كل حذب وصوب، وحتى (من الصغار قبل الكبار) عن الأسباب العميقة الكامنة التي أوصلت البلاد والعباد إلى ما وصلت إليه!

هل هي وليدة مزاج وفعل لحظي دفع بالناس إلى الشارع ليعبروا عما هو دفين في دواخلهم، أم أن هناك عوامل كثيرة تراكمت وتفاعلت، وكانت تحتاج إلى مفجر، حتى ولو كان بسيطاً، لتأخذ هذا المنحى الذي أخذته شعبياً وحكومياً؟ لقد أكدت التطورات الجارية القانون القائل: (إن التراكم الكمي سيؤدي إلى تغير نوعي)، فكيف هذا؟ وبأي اتجاه جرى؟

بعد انتهاء فورة المسعادات النفطية التي كانت ترد إلى خزينة الدولة من دول الخليج بعد حرب ١٩٧٣، والتي من خلالها تراكمت ثروات هائلة بأيدي البرجوازية البيروقراطية التي تحكمت بمدخلات ومخرجات الاقتصاد الوطني المتمثل آنذاك بالقطاع العام، وهو قطاع قائد للاقتصاد الوطني، لم يكن لقوى السوق دور فاعل وحاضر بعد، بل كانت بطور الشكل والتكون يفعل الخطوط التي فتحتها مع الرساميل المتكونة والتي كانت تبحث عن أفضية لها لإعادة إنتاجها مرة أخرى (تبييضها)، فوجدت ضالتها بالبرجوازية الطفيلية، وهو اسم يدل على شكل نشاطها الذي تقوم به وتمارسه على الأرض. وقد شكل قانون الاستثمار الذي صدر في تسعينيات القرن الماضي البوابة والقناة الأساسية لانطلاقة قوى السوق والتناقضات الحميمي مع الأموال التي نُهبت سابقاً، والتقاء المصالح هذا لا بد أن يكون على حساب حاجات المجتمع السوري المتنامية، وعلى حساب الاقتصاد الوطني الذي هو الركن الأساسي في تحقيق نسب النمو المطلوبة والتنمية الضرورية التي تلبى تطور حاجات الشعب السوري، بفرص العمل والتعليم والصحة والسكن والنقل والإخ، بالإضافة إلى تأمين مستلزمات الموقف الوطني الممانع للقوى الاستعمارية.

إن تطور آليات النهب والفساد الذي ترافق مع عملية التزواج الجارية للمصالح بين البرجوازية والبيروقراطية وقوى السوق، قد دفع دفعاً قوياً بالسياسات الليبرالية إلى الواجهة، وأخذ ينتشر التعبير عن ضرورة تبنيها من خلال الدعاية والفعل الواسعين لها وما ستقدمه للبلاد والعباد من خيرات ورفاهية سينعم بها الشعب السوري، ويجاري بها أكثر الدول تطوراً، حتى بات الشعب السوري يجسد على ما سيجنيه من تلك السياسات. ويمكن القول إن سيادة مصالح أية طبقة هو تعبير عن موازين القوى السائد بين الطبقات، وموازين القوى عندنا واضحة للعيان فهي مختلة لمصلحة قوى السوق وحلفائهم الحكوميين، والأما كان ليحدث في مجتمعنا من استعصاءات حقيقية لولا ذلك الخلل الحاصل، والذي كانت نتيجته الحقيقية التراكم الهائل للأزمات المعيشية المختلفة، والتي تراكمت وحضرت لها مجرى عميقاً في حياة الفقراء، وأصبحت سمة تطفى على حياتهم وتجعلهم مواطنين من الدرجات الدنيا، حقوقهم في حدود الفئات الذي يرمى لهم.

إن ما فعلته السياسات الليبرالية المنفلتة من عقالها، ومن تبنائها وعمل على أن تصبح أمراً واقعاً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، لم يكن عملاً بريئاً، بل كان خطأ مدروساً ومتصاعداً ومتوافقاً مع ما تسمح به الظروف المحلية، أي وفقاً لما تسمح به شدة الممانعة أو (الرخاوة) لهذا النهج، حيث بينت نتائج الفعلية أنه سير وفقاً لما تريده مخططات الدوائر المالية والسياسية الإمبريالية، وهذا يعتبر خرقاً داخلياً خطيراً يراد منه ضرب عدة عصفير بحجر واحد، وأهم ما في ذلك ضرب قدرة سورية على ممانعة ومقاومة المشاريع الإمبريالية بخططها المختلفة والمتنوعة والمتطورة، وفقاً لتطور الأحداث، والتي ما كان لها أن تحقق أي نجاح لو استطاعت القوى الوطنية وفي مقدمتها الحركة النقابية التصدي لها مبكراً وهي في خطواتها الأولى، بل للأسوأ من ذلك أنه جرى الدفاع عن تلك السياسات بأشكال مختلفة، وجرى تسويقها باعتبارها المنفذ الذي سيؤمن حل الأزمات والاستعصاءات الاجتماعية والاقتصادية التي أوجدها ذلك التحالف غير المقدس لقوى السوق مع البرجوازية البيروقراطية.

إن التحركات الشعبية والسلمية لم تأت من فراغ، ولم تكن نتيجة فعل مؤقت أو تأثر بما يجري حولنا، كما هي الحال في مصر وتونس، بل هي نتيجة تلك التراكمات من الأزمات التي فعلت فعلها ودفعت بها إلى السطح لتعبر عن نفسها وعن مطالبها التي يجب أن تُحمى ويدافع عنها، ونحن نجزم ونؤكد على الدور الخاص الذي من الممكن أن تلعبه الحركة النقابية لو توفرت لها الشروط الضرورية بأن تقوم بهذا الدور الوطني المهم في هذه اللحظات، وذلك بأن تعيد تقييم تجربتها الخاصة مع الحكومة السابقة وفريقها الاقتصادي، وتتخذ القرارات والتوجهات الكفيلة بإسقاط تلك السياسات التي ساهمت في إنتاج ما نحن فيه، والتي لم يستفد منها سوى القوى الخارجية والداخلية المتحالفة معها، والتي بنت تحركاتها على أساس ما أنتجته تلك السياسات الليبرالية من بؤر توتر تنفجر في أية لحظة وتكون عاملاً مساعداً لاستكمال تنفيذ مشروعاتهم العدواني.

إن الحركة النقابية لقادرة على مواجهة تلك السياسات، وهذا يتطلب الانفتاح الحقيقي على الطبقة العاملة السورية والتخلص من كل أشكال الهيمنة عليها، وهو شرط لازم للدفاع عن الوطن، وإن تحقيق مطالب الطبقة العاملة والدفاع عن حقوقها هو مقدمة ذلك الانفتاح المنشود.

أصدر عادل سفر رئيس مجلس الوزراء قراراً يقضي بإضافة رئيسي الاتحاد العام لنقابات العمال، والاتحاد العام للفلاحين إلى مضمون قراره الخاص بتشكيل اللجنة الاقتصادية في رئاسة مجلس الوزراء، حيث يرأس هذه اللجنة وزير المالية، والتي تضم في عضويتها وزراء الزراعة والإصلاح الزراعي، ووزير الشؤون الاجتماعية والعمل، ووزير الاقتصاد والتجارة والصناعة، ووزير النفط والثروة المعدنية، ورئيس هيئة التخطيط والتعاون الدولي، بالإضافة إلى ممثل الأمانة العامة لرئاسة مجلس الوزراء أميناً للسر ومقررراً عاماً، وحسب القرار تتضمن مهام اللجنة دراسة وتدقيق مشاريع التشريعات التي تحال إليها في مجال اختصاصها وإعداد الدراسات وتقديم المقترحات حول القرارات المنبثقة عن أعمال اللجنة من مجلس الوزراء أو رئيس مجلس الوزراء أو الوزير المختص حسب طبيعة القرار، ووفقاً للصلاحيات المحددة في القوانين والأنظمة النافذة أصلاً.

إن قرار ضم مندوبي العمال إلى اللجنة



من الوظيفة جاءت أكثر من تسفوية لعدم رد تلك الجهات على الاعتراضات التي قدمها العمال، والأنكى من هذا بعض الحالات التي كانت تطرح استفسارات عديدة وتم إقرارها في أكثر من صحيفة حول صدور قرارات فصل من الخدمة لأشخاص غير موجودين أو قدموا استقالاتهم من الوظيفة منذ شهور وأعوام، الأمر الذي كان يؤكد دائماً على وجود فساد وتواطؤ من الجهات الحكومية على إخفاء

الاقتصادية يضع الاتحاد العام لنقابات العمال أمام مهمات جمة وامتحان صعب خاصة وأن الحكومة السابقة لم ترحم العمال في قراراتها فمن تسريح أعداد هائلة من العاملين في الدولة بشكل تعسفي دون إحالتهم إلى الجهات الرقابية المختصة من الهيئة المركزية أو الرقابة الداخلية، ودون عرضهم على اللجنة الثلاثية المختصة التي يقع على عاتقها قرارات كهذه، ليس هذا فقط بل إن قرارات تسريح بعضهم

## في لقاءهم مع وزير الصناعة والاقتصاد

## تحقيق المطالب العمالية يعزز الأمن والاستقرار لسورية

٣) منح العاملين على الحواسيب اللباس الذي يستحقونه أسوةً بباقي المؤسسات.

٤) منح عمال الحواسيب والتصوير الوجبة الغذائية.

بينما ركزت طلبات نقابة الغذائية على عدة مطالب متنوعة منها:

١) تعويض الاختصاص وطبيعة العمل للفنيين.

٢) تعيين عمال بدلاً من المشربين.

٣) تثبيت العمال المؤقتين.

٤) منح الوجبة الغذائية لعمال البيرة والألبان.

٥) فتح سقف تعويض العمل الإضافي.

٦) استبدال وتجديد خطوط الإنتاج.

٧) توفير السيولة المالية للشركات.

٨) منح إدارة هذه الشركات المزيد من الصلاحيات ومحاسبتها.

٩) يوجد خوف من أجهزة الرقابة والتفتيش من العاملين بالمفاضل الحساسة في التعامل من اتخاذ القرار الجري في الشراء، والبيع أو التسويق وتأخذ مثال شركة ألبان دمشق وبيرة بردى.

١٠) توزيع نسبة من أرباح على العاملين.

١١) زيادة مخصصات الدعاية والإعلان.

١٢) عدم السماح بإدخال سلع مماثلة ومنافسة على حساب المواصفات.

■ ■

المحاكم العسكرية وإحالتها إلى الرقابة الداخلية بوزارة الاقتصاد.

٤) منحهم البديل النقدي عن عطلة السبت.

٥) تثبيت العمال المؤقتين.

أما الشركة العامة لصوامع الحبوب فقد أكد العمال على:

إلغاء مشروع نقل إدارة الشركة من دمشق إلى محافظة الحسكة علماً أن السعة التخزينية للصوامع الجنوبية تعادل السعة التخزينية لصوامع الحسكة. في وقت يوجد فيه فرح للصوامع بالحسكة يؤدي الغرض المطلوب، وليس هناك أية جدوى اقتصادية من النقل بل على العكس يسبب ذلك هدراً في المال العام بسبب انقسام إدارة الشركة إلى قسمين. وزيادة النفقات من مهمات وأذونات سفر ومحروقات، وبقاء العاملين في دمشق كونهم من دمشق وما حولها كما حصل في مؤسسة الحبوب.

أما عمال لجنة المخابر الاحتياطية فقد طالبوا بمطلب وحيد وهو:

تشغيل العاملين في الإنتاج بمظلة التأمينات الاجتماعية.

في حين أكد عمال المؤسسة العامة للخزن والتسويق على:

١) منح العاملين في وحدات التبريد الوجبة الغذائية الوقائية.

٢) منح العاملين في وحدات التبريد اللباس الوافي.

٣) عدم إحالة الضبوط التمييزية إلى

٤) منح تعويض الاختصاص وطبيعة العمل لحملة الشهادة الفنية والمعاهد والثانويات الفنية ورؤساء الدوائر غير الجامعيين.

٥) تثبيت العاملين المؤقتين.

٦) منح العاملين الوجبة الغذائية.

٧) منح العاملين الكساء العمالي.

أما في الشركة العامة للمطاحن فقد طالب عمالها:

١) تشغيل عمال المطاحن بالتأمين الصحي.

٢) تطبيق المادة ٩٨/ من القانون الأساسي للعاملين بالدولة المتضمن منح تعويض طبيعة العمل والاختصاص.

٣) تشغيل أقسام الميكانيك والكهرباء والمرقمين وأمناء المستودعات بالوجبة الغذائية.

٤) منح العاملين البديل النقدي عن عطلة يوم السبت.

٥) عدم حصر استرجار اللباس من وسيم والمؤسسة العسكرية وإضافة: الاستهلاكية والجمعيات التعاونية.

كما طالب عمال الشركة العامة للمخابز خلال لقاءهم:

١) تشغيل العاملين في المخابز بالتأمين الصحي.

٢) منح العاملين في المخابز الوجبة الغذائية.

٣) عدم إحالة الضبوط التمييزية إلى

## التسويق والمماطلة لن يفيد المسؤولين

## عمال شركة دير الزور للنفط لن يتنازلوا عن حقوقهم

بالدعاوى العمالية الخاصة بعمال النفط، التي ما تزال بين أخذ ورد منذ أكثر من عشر سنوات، وهي دعاوى طبيعة العمل والطبيعة الصحراوية وتعويض المحروقات وغيرها من الدعاوى.

٣) إلزام إدارة شركة دير الزور للنفط ومؤسسة التأمينات الاجتماعية بافتتاح رسوم التأمينات الاجتماعية عن كامل ما يتقاضاه العامل من الشركة، لأن قانون العمل الجديد رقم ١٧/ لعام ٢٠١٠، يلزم رب العمل بتحويل تأمينات العاملين عن كامل الرواتب والأجور التي يجري تقاضيها، وليس فقط عن أساس الراتب كما هو معمول به حالياً، إذ يعرف الراتب في مادته الأولى بأنه كل ما يتقاضاه العامل من أجور ومكافآت وحوافز وترفيعات.

٤) توحيد الأنظمة والقوانين الحاكمة لعمل عمال القطاع النفطي، وإصدار تشريع موحد خاص بهم يأخذ ظروف عملهم بالحسبان، إذ إنه ليس من المعقول أن يطبق على شخصين

وقتها بتوجيهاته فوراً للمتابعة، ومع ذلك كان للمسؤولين أذن من طين وأذن من عجين وسوفوا الموضوع ليضيعوا على العمال والمهندسين حقهم كل هذه السنوات، والمطالب التي أصر العمال على تحقيقهم دون نقصان هي:

١) إلغاء التوجيهات الشفوية المعطاة من مجلسي الوزراء السابقين بعد عام ٢٠٠٢ بتعطيل العمل بالأحكام القضائية المبرمة في القضايا العمالية التي اكتسبت الدرجة القطعية، وصرف تعويضات الاختصاص والجهد الإضافي، التي يستحقها العمال عن السنوات الماضية، بدءاً من تاريخ صدور هذه الأحكام، وتضمين التعويضات المتعلقة بهذه القضايا في رواتب العاملين اللاحقة، وتشغيل العمال غير المدعين لأسباب مختلفة ممن يعملون في الظروف ذاتها بالأحكام الصادرة لزملائهم الذين ادعوا بدءاً من اللحظة الحالية.

٢) الطلب من الجهات القضائية الإسراع في البت

على الرغم من المماطلة والتسويق التي كانت السمة المميزة للمسؤولين على الشركة السورية للنفط، فإن ذلك لم تشتهم عن المطالبة بحقوقهم المشروعة التي سننها القانون، وفور التغيير الحكومي قام عمال شركة دير الزور للنفط ومهندسوها بالتعاون مع اتحاد نقابة عمال النفط في محافظة دير الزور بتقديم عريضة إلى رئيس مجلس الوزراء من أجل تحقيقها بعد أن عرقلتها الجهات الوصائية التي كان من المفترض بها أن تكون إلى جانب العمال لا عليهم.

والغريب أن هذه المطالب كانت في طريقها للحل حين قام العمال بعرضها على السيد رئيس الجمهورية أثناء الزيارة التي قام بها لمحافظة دير الزور في العام ٢٠٠٧، والذي أعطى

# المنطقة الشرقية.. منسية تعيش على الفقر والوعود!

◀ علي نمر

**نهاية الأسبوع الفائت كنت في زيارة عمل للمنطقة الشرقية، ودون أي قصد في توقيت الرحلة المحجوزة مسبقاً للسفر وصلت إلى ربوع دير الزور والفرات الخالد في الساعات الأولى من الصباح الباكر عند أول الفجر، أي ساعات الهدوء حيث مايزال جميع السكان تلاميذ وطلاباً وعمالاً وموظفين في بيوتهم، فكم كانت الصدمة كبيرة.. مدينة بكاملها تشع منها رائحة الفقر والحرمان من كل جهة، من الشوارع والأرصفة والبيوت، وحتى نهر الفرات الذي تغزل به الشعراء والأدباء بدا حزيناً كئيباً في أيام ربيعه.**

صديقي وأخي الذي كان يشاركني المقعد في البولمان قال فور رؤيته للمدينة: هل يعقل أن تعيش مدينة فيها نهر بهذا الجمال الخلاب في هذا الفقر المدقع؟ لو أن هذا النهر في أية مدينة من العالم سواء الثالث أو الرابع أو الخامس لكانت أعظم وأجمل مدينة سياحية، وكان سكانها من أغنى السكان بالاعتماد على السياحة فقط.

فهل الحكومات العتيدة وأصحاب المعالي الذين وضعوا خططاً ومشاريع لتنمية المنطقة الشرقية درسوا في يوم من الأيام مشكلة الفقر في هذه المدينة وحددوا معنى للفقر أو تعريفاً له؟

تقول الأرقام الرسمية ان معدل الفقر في سورية خلال الأعوام العشرة الماضية من الإصلاح قارب ٢٠%، وهذا يعني أن ثلث السوريين عند خط الفقر أو دونه، وهي نسبة كبيرة تتجاوز تأثيراتها الجانب الاقتصادي لتترك تأثيراتها السلبية في الجوانب السياسية والاجتماعية، وبالتالي فليس معقولاً أن نضع الحق كله فيما يجري على الأيدي الخارجية التي تفرز سياسات من شأنها إفقار البلد والشعب عبر نهب الموارد وقدرات الدولة المادية والبشرية، كان يمكن وضمن الناتج النهائي لهذه الأسباب أن تغلق أبواب يمكن من خلالها الخروج من إसार الفقر، أو على الأقل تخفيف حضوره في حياة السوريين وفي هذه المحافظة على وجه الخصوص.

إن السياسات الحكومية التي جرى تطبيقها طيلة السنوات الماضية، وأدت إلى مشكلة الفقر، فاقمت في سنواتها الأخيرة تلك المشكلة رغم مساعيها العلنة لمحاربة الفقر أو الحد منه، وعلى نحو ما تؤشر الوثائق الحكومية وتصريحات كبار المسؤولين فقد كانت هذه المساعي بمثابة جعجعة بلا طحن.

لقد بدا واضحاً أن أهم وأول الأسباب التي أدت إلى هذه الحالة المزرية، وما تمثله من مضامين ونتائج خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي وضعتها وقررتها ونفذتها الحكومات السورية المتعاقبة، برهنت عجز السلطات عن

## شهود العيان.. «فتبينوا»!

◀ وسيم الدهان

**جالساً بأمان الله، محاطاً بجدران منزلك في مشروع دمر، تفاجئك قناة «العربية» بشهود عيان ينقلون إلى عقردارك أخباراً سريعة وخفيفة؛ «مظاهرة حاشدة في ركن الدين» يا سلام، يتبعه خبر آخر: «مظاهرة حاشدة في داعل/درعا» يا لطيف.. تشعر بأن الشوارع تغلي خارج حدود واقفك الضيق، بينما أنت جالس في مكانك أو تراوح في حدود الكنبة. ترفع الموبایل (وسيلة العصر المثلى للاستعانة بشاهد عيان)، وتتصل بصديق لك في ركن الدين- فالاطمننان واجب، وإذ بالمظاهرة الكبيرة المزعومة عبارة عن عشرات يشيعون قريبتهم الذي وافته المنية «طبيعياً» هناك.. تلقي التحية وتغادر سماعة صديقك بلطف.**

**تنسل إلى سماعة صديقك الدرعاوي، ماذا عن داعل؟ تشاء المصادفة ألا يكون صديقك قريباً من الحدث، وتشاء أيضاً أن يكون فرغ للتو من مشاهدة ما شاهده أنت على «العربية»، بعد أن سبقك إليه صديق ثالث ليسأله عن الموضوع نفسه، فيؤكد لك ضاحكاً: «مظاهرة قديمة عمرها أسابيع على الأقل»..**

**تفقد الأمان فجأة، وتشعر بالضيق، لم تعد متصالحاً حتى مع جدران منزلك، هل هي حقيقية أم يتوجب علي الاتصال بشاهد عيان لاتأكد أيضاً؟!** هذه القصة المنمقة حقيقية من حيث الجوهر، وقد حدثت حقاً بكل تفاصيلها، والفرق الوحيد أنها حدثت باللهجة العامية.. ولا بد أنك عايشت ما يشبهها فسعبت لتجيد اختيار الشاهد/ الصديق بغية التحقق من الأمر.

**ولا شك طبعاً أن الحياة اليومية مليئة بقصص صادقة، تماماً كما هي مليئة بقصص مثل هذه تسكبها في مسالك الإدراك قنوات أخرى محلية أو أجنبية، إذ ليس كل ما ينشره الإعلام المحلي صادقاً، ولا كل ما ينشره الإعلام المستورد كاذباً.. «فتبينوا»!**

القيام بخطط تنمية حقيقية وجدية، وكشفت عما يمكن تسميته ب«خطط التنمية الشكلية» بحسب نتائجها وهذا ما تم استخدامه تماماً عند وضع خطط تنمية المنطقة الشرقية التي تضم دير الزور والحسكة والرققة، والتي تتشابه في كل شيء من البطالة والفقر وصولاً إلى الهجرة.

ففي هذه المحافظات التي يفترض أن تكون موضع اهتمام حكومي كمرکز يمثل خزان ثروات سورية من النفط والقمح والقطن والبشر، عجزت جميع الخطط التنموية المطبقة منذ بداية الستينيات عن تطوير هذه المنطقة، وحمايتها من السياسات الاتجالية والحلول الإسعافية، والتبدلات الطبيعية الطارئة التي تحججت بها الحكومات، والتي دفعت في الأعوام القليلة الماضية مئات الآلاف من السكان إلى هجرات داخلية وخارجية هرباً من الفقر والعوز وطلباً للعيش.

والأنكى أن الحكومة لم تقف عند هذا الحد بل طبقت السياسات المالية والضريبية لسكب الزيت على النار، حيث أدت الأولى إلى رفع معدلات التضخم، واتصفت الثانية بالجور على الفئات الاجتماعية الأدنى وبمحاباة الأغنياء. فكانت النتيجة أكثر من وخيمة حيث ترافقت مع فتح المجال لعمليات نهب إمكانيات الدولة والمجتمع وشيوع السرقات والنهب، والتعدي على المال العام وأراضي الدولة، وقبض العمولات والرشى دون حسيب أو رقيب، إلى جانب هدر

القدرات والطاقات وتدمير الإمكانيات والفرص، وهجرة العقول العلمية والأكاديمية التي يمكن أن تساعد في النمو والتقدم المرسوم له حسب الحكومات نفسها، بالإضافة إلى تراجع دور الدولة والتقايس الحكومي وخاصة في المجالات الخدمات الاجتماعية مثل الصحة والتعليم للذين تراجعت موازنتهما النسبية في العقود الأخيرة، فزادت موازنات وزارات أخرى لم تكن بحاجة لها كلياً، أو بالأحرى لا تعني لفقراء البلد بشيء والملفت إنه ترافق مع تدهور نظام الحماية الاجتماعية الذي يعني الفقراء والمعدمين أكثر من غيرهم، بعد اعتماد مصطلح اقتصاد السوق الاجتماعي في المؤتمر القطري العاشر.

إن ما يجب أن يفهمه كل مسؤول في الحكومة أن جميع المشكلات كانت قابلة للمعالجة، لو توفرت حينها الإرادة لذلك، وكان بالإمكان اتباع سياسات تستغل الموارد والقدرات بصورة حقيقية، وسياسات مناصرة للفقراء تتضمن تحقيق تنمية زراعية وريفية وتخصيص وتوليد فرص عمل ورفع إنتاجية العاملين، وتنفيذ سياسات مالية تتبنى أهدافاً تضخمية أقل، وإصلاح القطاع العام الصناعي والمالي والنظام الضريبي.. عندها كان يمكن القول إن ما يرسم ويخطط للمنطقة الشرقية كان يسير في الطريق الصحيح، ولكن هذا ما لم يكن.. فهل تفعلها حكومة الإصلاح، أم ستكون أسوأ من سابقتها؟! ■■



## أجانب الحسكة وأمانات السجل المدني

**٥٠ مواطناً دفعوا ٥٠ ألف ليرة**

**«ولا عين رأت»!**

◀ كوجر علي

«موتقة» من وزارة الداخلية ضمن مصنف، وبعد أيام يستطيع طالب الهوية السورية أن يعود إلى أمانة السجل المدني جالباً معه أربع صور ليملاً استمارة جديدة، وتعطى له ورقة صغيرة يستلم بها هويته خلال مدة أقصاها ثلاثة أشهر.

ومنعاً للزحام، حاولت مديريات السجل المدني بالحسكة توزيع الدور على القرى حسب الأيام، لكن هذه الطريقة لم تنجح لكثرة أعداد الأجانب، فكان القرار بتوزيع موظفي الدوائر إلى القرى منعاً للاختناقات التي كانت فظيعة ومهينة للناس، حيث كان يجتمع يومياً الآلاف أمام أمانات السجل المدني وخاصة في المالكية، وكان عدد من لهم الحق بالفوز بالجنسية يزيد على الأربعين ألفاً.

وعندما ذهب الموظفون إلى القرى شعروا بأنهم سيخرجون من «المولد بلا حمص» وهم الذين تشبعوا بالفساد والرشاوى، فقباطوا كثيراً في تسيير معاملات المواطنين الجدد وعن طريق بعض المستفيدين طرحوا على أهالي القرى فكرة مفادها نسيان الدور، والاجتماع بهم دون علم أو بعلم إدارتهم، ولكن هذه المرة أخذ رشوة مئة ليرة من كل استمارة بالإضافة إلى استحصال ١٥٠ ليرة بدلاً من ٦٠ ليرة للمواطنين الذين «نسوا» الطوابع التي تباع في المكتبات، و«رش» الرشوة جعل من أحدهم يضع في جيبه الهوية دون انتظار كل هذا اللق، والتكلفة كانت ثلاثة آلاف ليرة فقط.

ويقال إن أحدهم زار في يوم عطلة العاصمة، وقبض من ٥٠ مواطناً ٥٠ ألف ليرة «ولا عين رأت».. والسؤال: إذا كان تقديم استمارة يتطلب كل هذه المصاريف ودفع الرشاوى، فكيف سيكون الوضع حين تبدأ عمليات الفرز والحصول على الهوية أو تسجيل الأولاد أو استصدار دفتر العائلة؟ ويبقى السؤال الأهم: ما وضع مكتومي القيد؟ هل سيصدر قرار «من التعليمات التنفيذية الجديدة» ليشملهم أم أن هذا الإشكال سيظل عصياً على الحل؟ وتبقى بؤرة التوتر قائمة والوحدة الوطنية في هذه الحالة لن تشهد التعزيز كما نشتهي ونريد. ■■

## مجانين عامودا وفتاوى «اللحيدان»!

◀ عامودا - حمد الله إبراهيم

عندما قرأت الفتاوى التي أطلقها الشيخ صالح اللحيدان ضد سورية أصبت بالذهول والدهشة، وازدادت صدمتي عندما قرأت بأن الشيخ صالح اللحيدان هذا، هو الرئيس السابق لمجلس القضاء الأعلى في السعودية وهو عضو هيئة كبار العلماء.

مباشرة تذكرت الفتاوى التي أطلقها معلمه الشيخ الباز عندما كان مفتي عام للمملكة السعودية قبل ربع قرن، ويمكن إيجاز تلك الفتاوى بما يلي:

١- كل من يقول إن الأرض كروية أهدر دمه. ٢- كل من يقول إن الأرض تدور حول الشمس أهدر دمه.

٣- كل من لا يقول إن الشمس تدور حول الأرض أهدر دمه.

كنت في تلك الفترة مدرساً لمادة الجغرافيا، وكان طلابي يعلقون على تلك الفتاوى قائلين لي: «دمك يا أستاذنا مهدور ثلاث مرات».

وفي تلك الفترة كان هناك بعض الساسة من الدول الاستعمارية يؤكدون بأن هناك دولاً متخلفة في العالم يجب إعادة الاستعمار أو الوصاية أو الانتداب عليها لمساعدتها في تجاوز تخلفها.

ولعل ابن الباز يقدم أكبر دليل على تخلف عدد من الدول العربية نتيجة هذه الفتاوى ومثيلاتها المتعددة.

بعد مرور أكثر من ربع قرن على فتاوى الباز، يطلق تلميذه الشيخ صالح اللحيدان سلسلة فتاوى تخص سورية، وتؤكد جميعها بأن سورية دولة كافرة، ودولة فاسقة وووو... الخ.. وأن الثورة على هذه الدولة فرض عين، أي الكل يجب أن يشارك فيها، كما يجب استخدام العنف ضد نظامها مهما كان الثمن، وأنه يجوز قتل تلك سكانها المنتمين إلى طوائف محددة ليسعد الثلاثان الأخران. ولا ينسى أخيراً أن يدعو السوريين إلى قتال أبناء جلدتهم وتحويل الحراك الشعبي والاحتجاجات إلى ثورة مسلحة، أي دفع الناس في سورية إلى الموت الأسود عبر تحريك القوى المتطرفة من مسلحين ومرتبطين وتكفيريين لقتل نحو عشر قملانيين مواطني سوري..

لا أعرف لماذا ذكرني هذا العدد بعدد من أبطال السوفيت الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل وطنهم الاتحاد السوفيتي ضد ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية.

لست من علماء الدين وليس اختصاصي الفقه الإسلامي، ولكن أعلم جيداً بأن الإسلام الحقيقي بعيد كل البعد عن هذه الفتاوى، حيث جاء في القرآن الكريم (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).. وفي آية أخرى (لقد كرمتنا بني آدم)، وفي حديث نبوي شريف أوجز الرسول عليه السلام الإسلام بكلمة واحدة عندما قال: (الدين معاملة).. وأعلم جيداً أن الإسلام كان مثلاً رائعاً في التسامح والمحبة والخير.

كان الأجدد بك يا شيخ صالح اللحيدان أن تطلق بعض الفتاوى تدعو فيها المسلمين إلى قتال الجيش الأمريكي الذي يحتل أفغانستان والعراق، والذي قتل حوالي مليون عراقي وشرذ أكثر من مليون.

كان الأجدد بك أن تطلق فتاوى لقتال الإسرائيليين الذين يقتلون الفلسطينيين يومياً وما زالوا يحتلون جزءاً من سورية ولبنان. كان الأجدد بك أن تطلق بعض الفتاوى بعدم دخول الجيش السعودي إلى البحرين لأن المشاكل في البحرين قضية داخلية.

في عامودا وفي إحدى المظاهرات تم ترديد بعض الشعارات التي لا تليق بمدينة عامودا ولا بأهلها، وعلى الفور اجتمع أكثر من ١٢٨ شخصاً يمثلون الأحزاب السياسية والشخصيات الوطنية والحركة الشبابية، والجميع استنكر تلك الشعارات وأكدوا بان الحراك جماهيري وسلمي ومطالبه إصلاحية.

علماً أن سكان عامودا مكونون من أكراد وعرب ومعظم الطوائف الإسلامية والمسيحية واليزيدية، وهم في محصلتهم جزء من الشعب السوري.. فهل هذا الشعب يستحق الموت الأسود الذي تدعو إليه أيها الشيخ صالح اللحيدان الفاضل؟

عندما كنا نناقش مع بعضنا الأوضاع في وطننا سورية تحدثت عن فتاوى هذا الشيخ فسأل أحدهم: «هل هذا الشيخ من مجانين عامودا؟».. أجبتة جازماً: استغفر الله.. إن هذا الشيخ هو زعيم النازيين الجدد في العالم. ■■

## المغتربون في وطنهم أما أن أوانهم؟

◀ **آلان كرد**

إن إحدى أكثر إجراءات الإقطاع والبرجوازية مأساوية بحق الفلاحين السوريين كان ما حصل في الجزيرة السورية في ١٩٦٢\١٠\٥ ، وهو ما عرف بالإحصاء الاستثنائي الرجعي الذي طبع بطابع التمييز القومي والتجريد من الجنسية السورية من حيث الشكل، لتنفيذ أهداف مستترة وهي تجريد فقراء الفلاحين الأكراد من الأرض من حيث المضمون. ٤٩٠٠ عاماً وهؤلاء الفلاحون المغتربون في وطنهم يعانون الأمرين بانتظار الأمل والوعود المتكررة خلال العقود الماضية بأنصافهم، وهي وعود دأبت على إطلاقها أفواه كل المحدثين نيابة عن الجهات التنفيذية في البلاد منذ ذلك الحين.

وبتاريخ ٤٧\١١\٢٠١١ صدر المرسوم الرئاسي رقم ٤٩ القاضي بمنح الجنسية للمواطنين الأكراد الذين حرموا أو جردوا منها نتيجة إحصاء ١٩٦٢ ، وهذا كان إنجازاً يسجل لنضال الشعب السوري وقواه الوطنية والتقدمية على طول البلاد وعرضها، وقد طالت البيهجة قلوب هؤلاء بعد نصف قرن من الاغتراب والنهميش، لكن ما يحز في النفس كثيراً أن يقوم موظفو دوائر السجل المدني في ديريك وعامودا والقامشلي بإرجاع قسم من هؤلاء المجردين المعروفين باسم المكتومين دون منحهم حتهم الذي نص عليه المرسوم رقم ٤٩ .

المكتومون وهم شريحة واسعة أفرزتها تبعات الإحصاء الاستثنائي، يعدون اليوم بالألاف، وهم سوريون أباً عن جد لم يعرفوا سوى سورية وطناً، وكما هو معروف فقد أحدث الإحصاء الأسود شرخاً اجتماعياً في العائلات التي طالتها، حيث وجد في كل عائلة من بقي موطناً سورياً ومن اعتبر أجنبياً متسللاً من تركيا لم يرد ذكر اسمه في سجلات السوريين نتيجة احصاء ١٩٦٢ ، وهم من حملة البطاقات الحمراء، إضافة إلى من اعتبر مكتوماً ولم يحسب على الطرفين، وهؤلاء حملوا إخراجات قيد بعد موافقة الأمن السياسي والمحافظ. المفارقة المأساوية التي نشاهدها اليوم تكمن بأن من اعتبر أجنبياً يعطى كامل الوثائق ليصبح مواطناً، أما أخوه المكتوم فلم يشمله ذلك، وربما اعتبره موظفو دوائر السجل المدني قادمأ من المريخ، ونحن نتساءل من يخدم استمرار مثل هذه الإجراءات بحق السوريين؟ ومن تخدم زيادة اغتراب المواطنين في وطنهم؟ ألا يضر هذا الاستهتار بالوحدة الوطنية التي نحن بأمس الحاجة إليها اليوم لمواجهة الظروف الخاصة التي تمر بها سورية وطننا الحبيب؟.

لذلك ندعو اليوم ودون أي تأخير إلى إنصاف هؤلاء المواطنين الذين اعتبرتهم التشريعات مكتومين ولا يستحقون منح الجنسية لهم وملفاته ذلك ضمن مخطط الإصلاح الشامل ديمقراطياً واقتصادياً واجتماعياً وبشكل فوري، منمعاً لأي فوائق اجتماعية وهمية تضر بالوحدة الوطنية المطلوبة لضمان كرامة الوطن والمواطن التي هي فوق كل اعتبار.

■ ■

◀ **نزار عاذلة**

في سياق اقتصاد السوق الاجتماعي والانفتاح الاقتصادي، عقدت في السنوات الخمس الماضية مئات الندوات وورش العمل في جميع الوزارات، وأبرزها في وزارتي الشؤون الاجتماعية والعمل ووزارة النقل، وكان انعقاد هذه الندوات وورش العمل بإشراف منظمات دولية أوروبية ويابانية وبعضها بإشراف من خبراء في البنك الدولي وصندوق النقد «العمل اللائق، البيئة، العولمة، منظمة التجارة العالمية الشراكة والتشاركية، المتغيرات الدولية»، إضافة إلى عناوين أخرى عديدة تم طرحها .

بالطبع المنظمات الدولية التي اشرفت على هذه الأنشطة كانت تقترح موضوع الندوة وتقدم منحاً مالية لتغطية مصاريف هذه الندوات. ومثال ذلك: عندما اجتمعت وزيرة الشؤون الاجتماعية والعمل السابقة مع القيادات النقابية من أجل تعديل قانون التأمينات الاجتماعية، قالت: البنك الدولي كلف خبيرة متميزة على مستوى العالم لإجراء دراسة عن مؤسسة التأمينات الاجتماعية وقدمت هذه الخبيرة مقترحاتها، وتابعت وزيرة: للعلم لم تدفع للخبيرة أي أتعاب، البنك الدولي دفع أتعابها البالغة /٦٠٠ ألف دولار.

هذا نموذج للأنشطة التي كان أكثر وزراء الحكومة السابقة يشغلون بها عبر سنوات. طبعاً خبيرة البنك الدولي نصحت بالبت بتخفيض الرواتب التقاعدية.

ويحضرني هنا السجال الحاد الذي جرى قبل ثلاثة أعوام بين النائب الاقتصادي السابق عبد الله الدردري وجمال قادري رئيس اتحاد عمال دمشق قال القادري للدردري: كيف تأخذ من البنك الدولي مليون ونصف يورو لتجديد مكتبك؟، أنا في اتحاد دمشق أعطيك هذا المبلغ ولا تكون رهينة لهذه المنظمة، ورد الدردري ببرودة أعصاب: إن مكنتي بحاجة إلى تجديد

وماذا يمنع أن تأخذ هذا المبلغ!؟...

وإذا كنا لا ندري ماذا قدم الخبراء الآخرون في مئات الورش والندوات التي عقدت من نصائح وتوجيهات، فإن ما جرى على أرض الواقع المعيشي والاقتصادي يتحدث عن نفسه، قبل أكثر من أربعة أعوام عقدت ندوة حول «تمكين المرأة العاملة، بالتعاون بين وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ومنظمة فرنسية، وبعد انعقاد هذه الندوة بأيام قليلة اتخذت وزيرة الشؤون الاجتماعية والعمل قراراً بحل الوحدات الإرشادية، ومهدت بعد حل هذه الوحدات بتصريحات يومية تتحدث فيها عن حزمة القرارات لمصلحة المواطن، وأبرزها صندوق المعونة الاجتماعية. وقد تحدث في

# منظمات دولية أشرفت على تقليص دور الدولة!



اقترح قبل عام كان إلغاء عمولة شركة التوكيلات الملاحية وتحويلها إلى هيئة، والخاصة أن السنوات التي أعقبت صدور المرسوم /٥٥/ تدل وبالأرقام تؤكد بشكل قطعي أن المحصلة كانت خسارة كبيرة على الدخل الوطني وعلى العاملين في التوكيلات، وتهديد مستقبلهم. وبلغت خسائر شركة التوكيلات الملاحية عام ٢٠٠٦ عشرة ملايين دولار، وقد تضاعف هذا المبلغ في العام الحالي وتحاول الوكالات الخاصة تخفيض الرسوم التي تسد للتوكيلات الملاحية تمهيداً لإلغائها .

رئيس اتحاد عمال طرطوس طالب في مجلس الاتحاد العام لعنقيات العمال الأخير إعادة النظر بهذه التجربة لأن هناك مخالفات كثيرة. وحددت التعليمات في المرسوم /٥٥/ أنه للوزير حق إلغاء الترخيص إذا فقد أحد شروط منحة الترخيص أو خالف الأنظمة المرعية والقوانين والملاحظ أنه لم يلب أي ترخيص بالرغم من المخالفات الصريحة لنص المرسوم الذي قضى أن تكون وكالة السفن التي تحمل بضائع القطاع العام بنسبة /٥١% من حولتها للتوكيلات الملاحية، ومع ذلك تمت سرقة العديد من السفن التي تحمل بضائع القطاع العام لبعض الوكالات، بالإضافة إلى المخالفات في التعرفة والرسوم.

بالطبع استعان وزير النقل السابق بمنظمات أوروبية ويابانية وأمريكية حتى اتخذ قراراته الهامة في قطاع النقل والتي تتلخص في تقليص دور الدولة الاقتصادي!.

■ ■

## صيام البقر.. الإجابري!

نعم هذه هي إحدى التكبات التي تعرضت لها الثروة الحيوانية وما زالت تتعرض لها إلى يومنا هذا، وتصدر وفق قرارات فردية ومازالت المواشي تتعرض للذبح العشوائي والجفاف وقلة العلف والفساد المستشري في عملية التعداد الماضي وارتفاع أسعار المواد العلفية لدى التجار ،والإهمال المتمد أحياناً، ناهيك عن ارتفاع أسعار الأدوية البيطرية الفاحش، والذي يؤخذ من السوق السوداء غير الخاضعة للرقابة من مديرية الزراعة بالرقعة وبالمحافظات الأخرى، مع العلم أن معظم محال بيع الأدوية عائدة إلى عاملين كانوا يعملون في مديرية زراعة الرقعة، وقسم منهم مازال يعمل فيها .. وغير ذلك من عدم الاهتمام وتأمين الخدمات اللازمة لمربي الثروة الحيوانية سواء في الأرياف أو الذين يتواجدون في البادية الجرداء ويحملون بشرية ماء بارد في حر الصيف، كل هذا يجري في ظل السياسات الحكومية الليبرالية التي جعلت من الزراعة عقاباً للفلاح ولم تعمل يوماً على خدمة هذا القطاع بقدر ما عملت على إرهابه.

إننا في «قاسيون» نطالب وزارة الزراعة الجديدة بالاهتمام ب حياة الأخوة الفلاحين والاهتمام بالثروة الحيوانية وإعطائهم مستحقاتها من المواد العلفية التي تكفيها بشكل فعلي، وبأسرع وقت ممكن، لتلافي وتصحيح الأخطاء السابقة وإيجاد صيغة وأسلوب لإحصاء الثروة الحيوانية من جديد، خلافاً لما قامت به اللجان السابقة وبعيدا عن كل الفساد والوساطات والمحسوبيات التي قد تحصل.

**الرقعة - محمد الفياض**

الماضية كانت تقوم بانتهاك حقوق العمال وشؤونهم الاجتماعية، وهي لم تأخذ دوراً متوازناً في مراقبة مدى التقيد بقانون العمل الذي أصدرته والذي عكس في بنوده ميل الوزارة إلى أرباب العمل.

أما في وزارة النقل فقد حفلت أنشطة الوزارة بمئات الورش والندوات التي أقيمت في الفنادق الكبرى أكثر من عشر ندوات مع الجايكا اليابانية ومنظمات أوروبية حول مترو دمشق، وأجريت لذلك دراسات عديدة، علماً أن جميع المعلومات والمخططات اللازمة لإعداد دراسة الجدوى التقنية الاقتصادية لمشروع المترو متوفرة لدى الجهات المختلفة، فقد درس عام ١٩٨٤ مع مؤسسة تكنو ستروي أكسبورت من الاتحاد السوفيتي سابقاً، ولم ينفذ المترو.

عشرات الورش والندوات عقدت لحل أزمة المرور في شوارع دمشق وكانت المحصلة: إنهاء شركات النقل الداخلي ومصالح النقل لمصلحة خفنة من المستثمرين.

وتشجيعاً للاستثمار يعرف الحكومة السابقة صدر المرسوم /٥٥/ لعام ٢٠٠٢ الذي سمح بعمل الوكالات الخاصة، ونذكر بأن شركة التوكيلات الملاحية في العام ٢٠٠١ قبل عام من المرسوم المذكور حققت أرباحاً بمقدار /٦٠٠/ مليون ل.س، ووفرت /٦٠٠/ فرصة عمل دائمة ومائتي فرصة عمل لعمال مياومين...

الآن وبعد تطبيق المرسوم: ما هي النتائج؟

ملايين الدولارات أصبحت في جيوب القطاع الخاص وشركة التوكيلات الملاحية مهددة بالانهيار مع تسريح مئات العمال، وآخر ما

مجلس اتحاد العمال وزير الشؤون الاجتماعية رضوان الحبيب عن فساد وأخطاء هذا الصندوق والسؤال هنا:

كيف يمكن أن نحول عملات منتجات إلى منسولات من الصندوق؟ هذا إذا حصلن على معونة الوزارة أصلاً. الوحدات الإرشادية كانت تنتج السجاد اليدوي الفلكلوري وهو من الصناعات الريفية المميزة، وكانت تتبع لوزارة الشؤون وقد أنشئت هذه الوحدات في الريف عبر ورش أو مشاغل في أرجاء سورية، وقد ضمت أكثر من /٢٠٠٠/ عاملة ريفية أكثرهن مطلقات وعوانس وأرامل.. وقد حققت هذه الصناعة كثير من الأهداف أهمها: إيجاد فرص عمل والقضاء على البطالة بين النساء في الريف، أيقاف حركة الهجرة إلى المدينة، مساعدة العاملين في رفع كفاءة المرأة وتحسين مستوى معيشتها.

وطبعاً كانت مبررات الوزارة بإغلاق هذه الوحدات غير مقنعة، ومبرراتها كانت تقول: إن في المستودعات مخازين كبيرة من السجاد ولا نجد التصريف، وإن الأسعار غالية ولا توجد اسواق داخلية وخارجية. فهل هذه المبررات غير المقنعة تكفي لإغلاق الوحدات وتشريد العاملات؟ وهل العاملات مسؤولات عن تصريف السجاد؟ وهل من مسؤولية العاملات إيجاد أسواق داخلية وخارجية والمشاركة في المعارض الدولية لإيجاد منفذ لتصدير الإنتاج؟.

هذه أسئلة يرسم الوزير الجديد!!

تقول ذلك لأن وزارة الشؤون وعبر السنوات



بشكوى رسمية في اليوم التالي إلى بلدية مدينة جرمانا تحت رقم ٢٩٨ ص/ ١١ / ٥ / ٢٠١١، وأنهم يناشدون الجهات المعنية القيام بما يلزم من أجل عدم السماح ببناء هذا المحضر لأنه وحسب المخطط التنظيمي مستملك من قبل البلدية (موقف سيارات)، علماً أن السكان والأهالي بحاجة ماسة لهذا المشروع المهم. و«قاسيون» تضم صوتها إلى صوت الأهالي مطالبة بالإسراع في لجم هذه المخالفات فوراً لحماية المصالح العامة وعدم السماح للمتفذين والانتهازيين بتغليب مصالحهم الخاصة على مصلحة الوطن.

■ ■



البعض منهم معروف والبعض الآخر غير معروف، بدأت بنصب خيوط لتخطيط المحضر المذكور، ثم احضرت (تركس) للبيد بالحفر من أجل البناء في المحضر المستملك، وعندما سألتهم عن الترخيص والسماح لهم، لم يبرزوا أي مستند قانوني بالسماح لهم، ما سبب مشاجرة بينهم وبين أهالي الحي. بعد ذلك اتصلنا ببلدية مدينة جرمانا من أجل توقيفهم، لكن للأسف لم نحظ بأحد لأن الدوام اقترب من نهايته، بعد ذلك اتصلنا بناحية جرمانا، وكان الرد: اخبروا البلدية فتحن لا نتدخل.. هذه شؤون البلدية!». وأوضح الأهالي في شكواهم أنهم تقدموا تقدمنا

«الانفتاح».. وتداعياته الاقتصادية والاجتماعية..

## إرهاق الصناعة السورية.. خلخلة الميزان التجاري.. فوضى الأسواق!

◀ حسان م

يكاد لا يختلف اثنان على أن الانفتاح الاقتصادي غير المضبوط والمتسرع في الوقت عينه، قد أثر سلباً على الاقتصاد السوري، حتى وإن اختلفوا في تقييم وتحديد درجة تأثيراته على هذا القطاع أو ذاك، وهذا الاعتراف ليس وليد الرغبة المحضة لدى البعض، لأن اعترافهم بهذا التأثير المواقب لعملية الانفتاح هو اعتراف بفضل الركيزة الأساسية للسياسات الاقتصادية خلال السنوات السابقة، وبالتالي، فإن الاعتراف جاء نتيجة منطقية للأرقام التي أكدت الإغراق على حساب المنتج الوطني، وما رافقه من انهيار الصناعة الوطنية، وتضرر المنتج الزراعي السوري المترافق مع انهيار الميزان التجاري في سورية، وغياب الرقابة عن السلع في الأسواق في ظل غياب فاعلية القانون الاقتصادي أولاً، وقبل كل شيء غياب فاعليته، وهذه كلها مؤشرات على التأثيرات السلبية للانفتاح والتي لا يمكن إنكارها..



«تشریح» الميزان

أول ما يخطر في بال أي باحث أو متحدث عن التأثير السلبي لعملية الانفتاح الاقتصادي هو الميزان التجاري، والذي يرتبط ارتباطاً عضوياً بتراجع القطاع الزراعي، لكونه يشكل نحو ربع الصادرات السورية، وفي أسوأ الأحوال ٢٠٪ من هذه الصادرات، وهذا بلغة الأرقام، يتراوح بين ١٠٠ - ١٥٠ مليار ليرة سورية من الصادرات..

٧,٥ مرة تضاعفت خسارة الميزان التجاري السوري بأربع سنوات، فعام ٢٠٠٢ كان العام الأخير الذي حقق خلاله الميزان التجاري فائضاً مالياً خلال العقد الأخير بقيمة ٢٨ مليار ليرة سورية، لتبدأ بعدها مسيرة العجز في ميزاننا التجاري، والتي فاقت في نسبة تراجعها كل التوقعات، حيث قفز هذا العجز من ٢١ مليار ليرة في العام ٢٠٠٦ إلى نحو ٢٢٦ مليار في العام ٢٠٠٩ حسب آخر أرقام المكتب المركزي للإحصاء، ولليبحث عن أسباب التراجع التي تصيب ميزاننا التجاري، كان لا بد من البحث في مكونات صادراتنا بشكل أساسي، وتحديد نسب كل منها، والوقوف من المتراجع منها وتحديده، للوصول بعدها إلى تحديد أسباب هذا التراجع ومكوناته..

«أئين» متصاعد!

لا تزال المنتجات المعدنية، والنباتية، ومنتجات صناعة الأغذية، ومواد النسيج ومصنوعاتها، حتى الآن عماد الصادرات السورية، إذ تشكل ما يتراوح بين ٧٠ - ٩٠٪ من الصادرات السورية بحسابات القيمة والكم، إلا أن الدراسة المتأنيبة للميزان التجاري، تؤكد أن صادراتنا من المنتجات النباتية هي الأكثر تراجعاً بين جميع مكونات الصادرات السورية، حيث انخفضت نسبة مساهمتها في الصادرات السورية بنسبة ٧٪ (بمقدار الثلث) من الناحية الكمية في العام ٢٠٠٩، ولكن وللمفارقة فقد ارتفعت نسبة مساهمتها بالقيمة في الصادرات بنسبة ١٪ في العام ذاته على الرغم من هذا التراجع بالكم، وهذا ناتج عن ارتفاع أسعار المنتجات النباتية والزراعية عالمياً فقط.. علماً أن تراجع كمية المنتجات النباتية بات سمة أساسية لقطاعنا الزراعي وصادراتنا

على حد سواء، ولم يقتصر على عام واحد فقط، حيث تراجعت بمقدار ٤٪ في العام ٢٠٠٧، وبأكثر من ١١٪ في العام ٢٠٠٨ من الناحية الكمية بالطبع.

وفي المقابل، شهدت وارداتنا الكمية من المنتجات النباتية ارتفاعاً بنسبة ٧٪ خلال الأعوام الأربعة السابقة، وذلك من ١٦٪ في العام ٢٠٠٦ إلى أكثر من ٢٣٪ قياساً بكمية المستوردات الإجمالية في العام ٢٠٠٩، كما ارتفعت وارداتنا النباتية بمقدار الضعف قياساً بقيمة المستوردات الإجمالية، وذلك من ٣٠,٦٪ في العام ٢٠٠٦ إلى ما يقارب ١٢,٢٥٪ في العام ٢٠٠٩، وهذا يؤشر دون شك إلى أن المنتجات النباتية قبل إعلان وفاتها بعد فترات زمنية ليست بالبعيدة، لأن هناك تراجعاً كبيراً في حجم الإنتاج الزراعي، ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن، من هو المسؤول عن هذا التراجع؟! وإذا كانت الأحوال المناخية هي السبب دائماً، كما يبرر أحياناً تراجع الإنتاج الزراعي عند البعض.. وإذا كان هو المسبب الوحيد، فأين التخطيط والدراسات الزراعية التي تجنبنا هذه التراجعات والأزمات الحاصلة والأوبئة؟! وإلى متى سنسمح لزراعنا أن تبقى رازحة تحت سيف الأحوال المناخية؟! وإذا كان العام ٢٠٠٨ استثنائياً بقله أمطاره.. فأى تبرير يمكن أن يطلقه المدافعون عن هذا التراجع كماً ومساهمة في الصادرات السورية على نحو نصف عقد من الزمن...

الحديث عن شجون القطاع الزراعي لا ينتهي بانخفاض الصادرات، فالأرقام تشير إلى تراجع نسبة العاملين في هذا القطاع إلى ٢٠٪ من الأعداد الإجمالية للعاملين في سورية الآن مقارنة به ٢٥٪ في نهاية الخطة الخمسية التاسعة، بالإضافة إلى تراجع حصة الزراعة في الناتج المحلي في سورية من ٢٥٪ في العام ٢٠٠٦ إلى ٢٠,٤٪ بالعام ٢٠٠٧ إلى ١٤,٧٪ عام ٢٠٠٨ قبل أن يظهر بعض التحسن عام ٢٠٠٩، كما تراجعت مساهمة القطاع الزراعي في الصادرات السورية من ٢٠٪ إلى ١٣٪ من حصته في الصادرات الإجمالية، وهذا التراجع هو جزء من تأثير عملية الانفتاح الاقتصادي على القطاع الزراعي، وما وكبها من إغراق لبعض المنتجات الزراعية المستوردة على حساب منتجاتنا الزراعي الوطني..

«الخاص» يعود لمواجهة الاستثمار في الكهرباء..

## هل هناك من يريد استفزاز الشعب السوري؟



من جديد، يعود القطاع الخاص إلى واجهة الاستثمار في القطاعات الحيوية، وتشكل الكهرباء واحدة من أهمها، حيث أكد وزير الكهرباء المهندس عماد خميس «أهمية مشاركة القطاع الخاص في مشاريع توزيع وتوليد الطاقة الكهربائية وبناء البنية التحتية اللازمة لتفعيل هذا الموضوع، مشيراً إلى ضرورة وجود رؤية مستقبلية واضحة لموضوع التشاركية تأخذ في الحسبان الجدوى الاقتصادية لهذه المشاريع».

إن حالة التوجس التي عاناها السوريون من سماح الحكومة للقطاع الخاص الاستثمار في مجال الكهرباء سابقاً، تعود اليوم، وهذه الهواجس ترتبط بالخوف الدائم من ارتفاع أسعار التعرفة الكهربائية إذا ما دخل القطاع الخاص إلى القطاع الكهربائي، لأن القطاع الخاص لن يستثمر في هذا القطاع مع وجود تعرفة غير مجدية أو لا تحقق له أرباحاً مناسبة تشجعه على الاستثمار في هذا القطاع، وبالتالي فإن دخول القطاع الخاص إلى الكهرباء يعني ارتفاع التعرفة الكهربائية حتماً، خصوصاً وأن القطاع الخاص عموماً يسعى إلى تحقيق الربح دائماً، وبدونه لن يستثمر في أي مجال بالتأكيد..

إذاً، فالمواطن سيخسر في كل الأحوال، خصوصاً وأن رفع أسعار الكهرباء سيؤثر على الصناعة والزراعة، وسيرفع أسعار العديد من السلع المستهلكة بالتالي، وبالتالي فإن من حق السوريين أن يعبروا عن شكهم وتوجسهم من دخول الخاص إلى أهم القطاعات الاستراتيجية، والتي هي احتكار للدولة في أغلب دول العالم.. فالربح والجدوى الاقتصادية هي التي تحدد أو توجه هذا المستثمر للاستثمار في هذا القطاع أو ذاك، فالمستثمر يبحث عن الربح الأكبر في الزمن الأقصر، مبتعداً قدر الإمكان عن

لهذا القطاع، والمتمثل في ضرورة تحقيق التنمية الشاملة، على الرغم من أن حجم الاستثمارات في الصناعة التحويلية خلال السنوات الأربع الماضية بلغ ٤٠٠ مليار ليرة، حسب تقرير سابق لاتحاد نقابات العمال.

بينما ارتفعت مساهمة القيمة المضافة للصناعة الاستخراجية السورية من ١٨٪ إلى ٢٥,٥٪ عام ٢٠٠٨، بمعنى الارتفاع من ٣,٨ مليار دولار إلى ١٢,٧ مليار دولار، ويعود ذلك لارتفاع أسعار النفط عالمياً عاماً بعد آخر ولأكثر من ثلاثة أضعاف خلال السنوات العشر السابقة، في الوقت الذي لا تتعدى فيه مساهمة قطاع الماء والكهرباء ٣٪ من الناتج المحلي للقطاع الصناعي والتعدين..

فالصناعة التحويلية، هي عبارة عن عملية تحول المواد الأولية إلى منتجات نهائية أو منتجات نصف مصنعة، كالنسيج، والقطن، وهذه الصناعات التحويلية لدينا تقسم إلى أربعة مكونات، تتقاسم مرابعة (٢٥٪) حجم مساهمتها في الصناعة التحويلية في القطر تقريباً، ومن أهم هذه الصناعات (الخشب والموبيليا والمنتجات غير المعدنية...) التي أغلقت الكثير من ورشها ومعاملها الصغيرة في ريف دمشق، وتقلص حجم عاملتها لضعف قدرتها على المنافسة أمام إغراق الموبيليا الجاهزة بعد فتح باب الاستيراد على مصراعيه، وهذا أيضاً كان حال صناعة الغزل والنسيج التي أنهكها إغراق الغزول المصرية سوقنا المحلية بعد أن عانى المصريون طويلاً من إغراق غزولنا لأسواقهم، كما أن الصناعات الكيماوية والغذائية لم تكن بمنأى عن التأثير هي الأخرى، وهذا ما أدى لتراجع مساهمة الصناعة التحويلية عموماً في ناتج الصناعة السورية بفعل تأثير قوانين الانفتاح الاقتصادي، وهذا يؤكد أن وجود قطاع صناعات تحويلية فاعل يعني تقليص معدلات استيراد السلع المصنعة بكافة أنواعها، ويخفض التبعية التجارية والتكنولوجية للدول الصناعية المتقدمة، ولكن الذي حصل لدينا هو العكس تماماً..

«إغراق و«نص»

الحديث عن الانفتاح الاقتصادي يعني لفت النظر إلى موضوع الإغراق الذي عانت منه السوق السورية خلال السنوات الماضية، حيث احتكرت المنتجات الصينية والتركية -على سبيل المثال لا الحصر- السوق الداخلية، وأخرجت منتجاتنا من سوقه الطبيعية، وذلك بفعل الاتفاقات الثنائية غير المتكافئة، من حيث حجم الدعم المقدم من هذه الدول لصناعاتها مقارنة بالتراجع عن الدعم المقدم للصناعة الوطنية من الحكومة لدينا، بالإضافة إلى حجم التطور الكبير الذي تعيشه هذه الصناعات مقارنة بصناعاتنا الناشئة، وهذا أنتج بالتالي أفضع عملية إغراق لسوقنا المحلية من المنتجات الأجنبية، وبات منتجنا المحلي عاجزاً عن منافستها، لدرجة أنها أخرجته أيضاً من سوقه التصديرية عالمياً، وهذا نتيجة منطقية لانفتاح غير مدروس ومتسرع لم يأخذ في الحسابات أولوية الصناعة الوطنية، وضرورة الحفاظ عليها، وأدى بالتالي لفقدان المنتج السوري معظم الأسواق العالمية، لأن تحرير الاقتصاد قتل التمكين مصيبة كبرى، كما أكد أحد الباحثين الاقتصاديين، وهذا أدى لإفلاس الصناعة السورية، وإغلاق الكثير من الورش والمعامل الصغيرة لعجزها عن الاستمرار ومنافسة المنتج القادم من خلف الحدود..

«الخاص» يعود لمواجهة الاستثمار في الكهرباء..

## أخذ.. ورد

هل من حق المصرف المركزي اليوم دعوة السوريين الذين استغلوا اندلاع الأحداث، وقاموا بشراء أكثر من ١٠ آلاف دولار، إلى إعادتها قبل عشرة أيام؟ إذا كان السؤال غير مناسب بسبب أبعاد المسألة وطنياً، فلم لم يدرك من أصدر قرار السماح بالشراء سابقاً ذلك؟ وهل يمكن التشكيك بنواياه حينها، حيث أتاح القرار ٨٤ السيئ الذكر بيع «المواطن السوري» ١٠ آلاف دولار أميركي شهرياً.

إن هذه الدعوة الصادرة اليوم جاءت كنتيجة فجة لأخطاء ارتكبتها المركزي في تأخره بسحب هذا القرار رغم تراجع الليرة الواضح للعبان منذ الأيام الأولى للأحداث، ولكنه يريد تحميل وزرها للسوريين، وهنا لا يمكن لأحد أن ينكر أن جزءاً من هؤلاء «الساحبين» قام بسحب أمواله انطلاقاً من مخطط مخفي خبيث لإسقاط الليرة السورية وضربها بصورة موجهة..

فجذر المشكلة في استصدار قرار كهذا أساساً، والذي جاء على ما يبدو لمساعدة البعض على تهريب أموالهم إلى الخارج بصورة شرعية، فمن هو المواطن السوري القادر على شراء عشرة آلاف دولار أميركي شهرياً؟ وماذا يعمل؟ ولأي الطبقات ينتمي هذا المواطن أساساً؟ ولماذا لم يستشف المصرف المركزي منذ مطلع الأحداث أن هناك من سيسغلها ليحاول اللعب بالليرة السورية، أم أن المركزي أراد أن يضعف الليرة السورية ليخرج «علي بابا» سورية بفانوسه السحري لإنقاذها، لينصب نفسه بطلاً يجب أن يعترف له السوريون لاحقاً بشهامته وغيرته على ليرتهم، التي ما تزال حقيقة، حتى الآن، مهددة بالترنح!!

فيما كانت الاستثمارات الحكومية غير قادرة فعلاً على تغطية حاجة الاستثمار الملحة في القطاع الكهربائي، فلماذا لا يتم اللجوء إلى تمويل القطاع الكهربائي من خلال عقود اتفاق مع بنوك خاصة لتمويل تطوير قطاع الكهرباء في سورية، بدلاً من إعطاء هبة للقطاع الخاص، لتحقيق الربح على حساب جيوب السوريين!؟ ثم هل هناك من يسعى اليوم إلى استفزاز السوريين أكثر فأكثر في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد؟ ولماذا!؟

## سورية على مفترق طرق..

# ذكرى النكبة ٢٠١١ كما عاشها أبطالها.. يوم ليس كباقي الأيام!!

هو مجرد صباح من صباحات أيار الربيعية، لكن ما ميزه عن غيره حقاً وجوهراً أنه كان صباح الخامس عشر من أيار بعد ثلاثة وستين عاماً عن مطلع اليوم نفسه والشهر نفسه من العقد الماضي، حيث أطلق عليه يومها اسم «نكبة فلسطين».. ليكون بعد ستة عقود ونيف يوماً لبدا زوال أثر النكبة من النفوس والعقول والعزائم.. تكتف كلمة نكبة كثيراً من التفاصيل السوداء، فهي تهجير واحتلال وشهداء وجرحى ولجوء وشتات ومخيم وعودة و«أنورا»... وكل تلك المفردات المخزنة بشكل قسري في ذاكرة كل أبناء النكبة.. وسيكتف يوم ١٥ أيار ٢٠١١ قدرة الشباب الفلسطيني الثائر، المدعوم بأشقائه العرب عموماً والسوريين خصوصاً، على تجاوز آلام وخيبات النكبة إلى عصر جديد.. سمته الرغبة الكبيرة والإرادة القوية الحاضرة للتحرير واستعادة الحقوق..

”

### من المخيم إلى الديار

صباح ربيعي اجتمعت فيه جموع غفيرة من أبناء النكبة في أحد أكبر مخيماتهم «مخيم اليرموك»، ليكبوا الحافلات التي ستقلهم إلى آخر نقطة سمح لهم بها.. أخيراً جاءت الموافقة على يوم الزحف، فاضت الدعوات على الفضاء الإلكتروني منه لتصبح جموعاً من أبناء الشتات لم ترض أن تقف ولو لثوان على منصة عين التينة قبالة مجدل شمس رمز الصمود الجولاني السوري، وأصرت على الزحف بعيداً.. ربما استنشقت أولهم نفساً عميقاً، ولكنه لم يطل الجسم.. اندفع.. وتبعه البقية.. وطنوا أرض الجولان تباعاً، واستمروا واقتحموا وواجهوا وقبلوا الأرض.. صلوا بها وعانقوها، شربوا ماءها وأكلوا طعاماً منها.. كانت أفعالهم انعكاساً حقيقياً لوجودهم، انكاساً صرفاً لثقافتهم وتكوينهم ومشاعرهم كلهم دون استثناء، ف«بشار الشهابي» أول الشهداء لم يكن سوى شاب في مقتبل العمر، أراد أن يزرع وجوده فسرا عن رغبة جنود الاحتلال، فهاجم سيارتهم العسكرية وزرع علمه، علم فلسطين، كل فلسطين على ظهرها، متحدياً بذراعيه جنود الاحتلال وألته الحربية.. كان علم الوطن علمه الذي جعله أحد أدوات المواجهة.. كيف لا؟ وهو علم كل الوطن وإن كثرت خلافاته الداخلية ف«بشار» أصر على إظهاره كسلاح جامع.

يقول عمر شهابي عم الشهيد بشار لجريدة قاسيون في ذلك:

«إن الشهيد بشار أراد أن يوصل رسالة للعدو الصهيوني مفادها أننا - نحن الفلسطينيين - لن ننسى فلسطين أبداً، وأن حق العودة هو حق مقدس للشعب الفلسطيني ولن نتخلى عنه مطلقاً.. وأن الوحدة الوطنية هي إحدى ضرورات الاستمرار على خطى الشباب الذين اقتحموا الحواجز باتجاه مجدل شمس وكسروا الحصار». ويروي عم الشهيد عن أحد الشباب الذين كانوا مع بشار عن لحظة استشهاد البطل بشار، فيقول نقلاً عن محدثه الميداني بأن الشهيد كان قد قام بوضع العلم الفلسطيني على السيارة الإسرائيلية، وعندما أطلق عليه أحد الجنود الصهيونية الرصاص فأصابته رصاصة في رأسه، وتم إسعافه سريعاً ولكنه فارق الحياة شهيداً.

### بعض الجراح النازفة

لم يكن بشار إلا أول رمز من رموز ذلك اليوم الأغر، ومن ثم التحق به «قيس أبو الهيجا» و«عبدة زغموت». اشتبكوا كلهم وجها لوجه مع قوات الاحتلال مصريين على وجودهم الواحد ورسالتهم الواحدة، وانتموا جميعاً إلى إرادتهم الحرة. حيث يرى البطل الجريح «عبد الهادي حسين» الذي شارك رفاقه نزع الدماء على أرض الجولان أن ما فعلوه كان بعيداً كل البعد عن شذرات سيئة الصيت أصابت العمل النضالي الفلسطيني، فالعمل كان أبعد ما يكون عن الحالة القنوية والفصائلية الضيقة. يقول عبد الهادي من فراشه في أحد مشايخ سورية لقاسيون:

«أولاً أريد توجيه رسالة إلى كل الشباب الذين كانوا معي في مواجهة جنود الاحتلال داخل الأرض المحتلة، وأقول لهم: إنهم قاموا بعمل رائع، فبعد ٦٣ سنة من الابتعاد عن هذه الأرض كنا نحن أول من داسها، وحطمنا ذلك الجدار الفاصل بيننا وبين الأراضي المحتلة، وهذا بحد ذاته عمل بطولي.. ونحن الشباب الذين كنا هناك، كنا أبعد ما نكون عن الحالة الفصائلية، فحاربنا جميعاً كفلسطينيين أحرار».

توسم زيارتنا لجرحى المواجهات بشعور الغبطة لما فعله هؤلاء الأبطال، وشعور الغليان عند مشاهدة جراهم النازفة، خاصة عندما شاهدنا أصغر شباب الاقتحام وهو الشاب «أنس موعد» البالغ من العمر اثني عشر ربيعاً. نراه وقد أصر الكيان الصهيوني أن يقضي عليه بغازاته القذرة، فألقى على الشباب غازات مسيلة للدموع ولكن حالة الشاب أنس موعد توحى بأن هذه الغازات تؤثر بشكل خطير على الجهاز العصبي ف«أنس» يرقد الآن في غرفة العناية المشددة في قسم العصبية، وهو يتعرض لاختلاجات موجعة ناتجة عن ذلك الغاز القذر...

تفادى عيوننا المشفى وندخل إلى المخيم، إلى حاراته الرطبة والمكتظة بالأحزان والجراح وصور الشهداء والقادة الوطنيين، المخيم الذي خزن في معناه ذلك الشيء الدفين في قلوب وعيون أولئك الشباب.. صرخوا بمكنونهم عالياً في وجه عتاة الأرض، صرخوا ونطقوا بسرهم الدفين.. سر العودة.. سر وجودهم ومعناه، ربما جاء بهم أبأؤهم لشيء واحد هو العودة، والتي حققوها للحظات بل ولساعات. ولكنها كانت كلمة أولى في كتاب

وجودهم التاريخي.

### أحلام وصلت

تعب لميس الخطيب، إحدى البطلات اللاتي تواجدن على خط المواجهة، عن رؤاها التي جالت طويلاً في السياسة والأفكار، ولكنها رست الآن عند لحظة العودة، والتي تراها أنها تحققت ولو للحظات قصيرة وحسب.. تقول لميس:

«كانت رسالة تحد، فمجرد دخولنا إلى الأرض المحتلة يعتبر انتصاراً، وحتى لو كان انتصاراً رمزياً، فنحن لم نبق طويلاً، ولكننا خرقنا ذلك الحاجز والمتمثل بأنه لا يمكن لأحد الدخول.. إن فكرة العودة تحققت ولو لثوان أو لساعات».

وعن سؤالها عن أفضل الطرق لاستمرار هذا العمل قالت:

«من المفروض أن يستمر هذا العمل، فنحن الآن بحالة عاطفية وحالة ثورية، ويجب أن يستفاد من هذه الحالة قدر المستطاع، بالإضافة إلى ضرورة تنظيم هكذا عمل من خلال إيجاد لجان أو هيئات تتولى تنظيم نظيره المقبل وتبنيه».

يظل الفعل الفدائي عصياً عن الكلمات، فهو تكثيف لكل المشاعر.. الوطن يصبح معشوقة تنتظر ٦٣ عاماً، واتصالك المادي المباشر يبيت في أطرافك نشوة هائلة.. إنها نشوة الخلق، نشوة الوجود، فأنت الآن خالق لحظة تاريخية، وأنت الآن موجد نفسك، وهنا تصطدم الكلمات بحنجرة ناطقتها. ف«محمد درويش» الذي استطاع أن يصل



إلى قلب مجدل شمس إلى ساحة سلطان باشا الأطرش، يرى أن خوفه ناتج عن وجوده مبعداً عن خط النار، فما إن يقترب أكثر حتى يتأثر الخوف مبتعداً عنه إلى عيون جنود الاحتلال، ملقياً في نفسه مزيجاً من المشاعر عبر عنها بقوله:

«عندما وصلنا إلى (عين التينة) لم نكن بعد قد سمعنا صوت الرصاص، ولم نكن نعرف ماذا سنفعل بداية، ولكن عندما شاهدت الشباب وهم يقتربون من الحدود ويحاولون اقتحامها لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك، فنزلت، وكنت أشعر بالخوف إلى أن وصلت حتى منتصف الطريق، حيث كان الطريق وعراً، ولكن كلما كنت أقرب من العدو أكثر كنت أشعر بتهدد الخوف تدريجياً، ومن ثم تابعت السير حتى وصلت إلى «مجدل شمس»، وعندها أصابني حالة غير معتادة فيها مزيج من الحزن والفرح معاً. لقد كنت سعيداً بوصولي إلى هذا المكان، والذي لم أكن أتخيل يوماً أنني سأصله، وكنت حزينا بالوقت نفسه لأننا لم نجرب هذا الفعل من قبل، فعمري الآن ٢٦ سنة، وكان يجب أن نقوم بذلك قبل اليوم. نعم، لقد بقينا هناك حوالي ٤ ساعات، وكنا موجودين في ساحة سلطان باشا حيث قابلنا أهالي مجدل شمس بالترحاب وساعدونا كثيراً بهذا العمل».

وتابع قائلاً:

«انشاء الله سنستمر بهذه الحالة، وأتمنى على شبابنا أن يسعوا لتنظيم أنفسهم في الشتات، فبالإمكان إقامة مجلس وطني لشباب الشتات نحاول من خلاله أن نكون ممثلين في القرار المتخذ بشأن القضية الفلسطينية».



# سورية على مفترق طرق..

• الوحدة الوطنية هي احد ضرورات الاستمرار..

• حاربنا جميعا كفلسطينيين أحرار..

• إن فكرة العودة تحققت ولو لثواني أو لساعات

• حالة غير معتادة فيها مزيج من الحزن والفرح معاً

• رسالة ذاتية لأثبت بأنني لا أزال إنسان فلسطيني



الذي طالما حلمت به كأبي لاجئ فلسطيني، وجدت نفسي على أرض مجدل شمس وعلى بعد امتار من فلسطين، ووجهها لوجه مع جنود الاحتلال. واجهناهم بالحجارة بدون أي خوف مقابل الرصاص والقنابل المسيلة للدموع.. أردنا أن نتحدهم ونؤكد لهم بأن وجودنا في الشتات لن يعني أبداً تخلينا عن حقنا بالعودة.. أردنا أن نكون جزءاً من الانتفاضة الفلسطينية الثالثة، وأن ندعم أهلنا في الداخل الفلسطيني، ونؤكد لهم بأنه عندما تفتح لنا الجبهات فلن نتخاذل أبداً.. وأريد أن أوجه الشكر لأهالي مجدل شمس على دعمهم المعنوي والمادي لنا، ولن أنسى أبداً دموعهم وفرحتهم عندما شعروا أنهم بين أبناء الوطن بعد غربة طويلة. الآن نشعر كفلسطينيين وكسوريين بأننا جاهزون ومتأهبون وتوافقون إلى تحرير أراضيها المحتلة أكثر من أي وقت مضى. وما نريده الآن هو فتح جبهة الجولان مرة أخرى، وهذا ما سيوحدنا جميعاً كفلسطينيين وسوريين حول هذه المعركة الوطنية..

## تحدي الاستمرار

لا يرث الفلسطيني ذاكرة أجداده وآبائه كغيره بيولوجيا فقط، لكن يومياته تعد رواية معاصرة وتجديدية عن تراث من الذاكرة يتجدد في كل لحظة. فأبوه لاجئ ووجه تائر وعمه شهيد وأخوه أسير، وهو ككل أقربائه شهيد كل لحظة، وأسير كل الذكريات، ولاجئ إلى كل العيون الناظرة إليه بغيطة ليختفي فيها كرمز دفن للتحدي. هكذا كان الشاب «إيهاب خلف»، والذي أراد أن يعلن أن الكفاح المسلح عائد، وهو خيار استراتيجي للقضاء على الاحتلال. وقال إيهاب خلف الشاب العشريني الذي شارك في العمل البطولي:

«إن الوسيلة الأفضل للاستمرار هي عودة الفصائل إلى الكفاح المسلح حتى الوصول إلى التحرير، وأن يصبح مطلب العودة من المطالب الأساسية في كل لحظة». كما قال أنه شعر «أن الموضوع كان حليماً، وأنه أجمل عمل قمنا به وجميع الشباب الذين شاركوا يشعرون الآن بالسعادة الغامرة».

يصر الشباب الفلسطيني على إثبات جدارته في رفع راية النضال خلفاً لسلف أنجز ما أنجز وتاه عن عناوينه الكبرى، ربما لم تتجز الفصائل الفلسطينية خلال العقود الماضية سوى المزيد من حالة التشرذم والتخبط وحالات من الفعل القاصر عن الوصول إلى منتهى غاياته، لكن يبدو أن الجيل الناصر في 15 أيار 2011 سيكون سمت المعركة، وسيوجهها بعنفوانه وعنفه الثوري. لا بل يصر أن

يضع خطوطه الحمراء المحيطة بثوابته، والتي لن يسمح لأي أحد كائناً من كان أن يمسه بها فحق العودة مقدس، وتحرير كل فلسطين واجب كل من يتأخر عنه يعتبر خائناً للتاريخ، والقدس «عاصمته الأبدية» والقضاء على الاحتلال «فعله وحده»، وحتى لو اختارت قياداته التفرج فقط، فهو الآن سيد نفسه ومالك لحظته وتاريخه.

يتحدى جهاد كتيلة أحد اللاجئيين الأبطال بنظرته كل ما يصفه بترهات السياسة، وينتصر لفكرته الراضية لأية مساومة تحت أي عنوان، ينتصر لها بدخوله إلى مجدل شمس سعياً للقيام باعتماد مفتوح داخل الأرض المحتلة، مبتغياً الوصول إلى بحر حيفا.. إلى الطيرة التي اقتربت بفعل إرادته وإرادة أصدقائه مسافة صمود بطولي. يقول جهاد بكل ثقة:

«أردنا أن ندفع الكيان الصهيوني لكي يفهم أننا كلاجئين لدينا القدرة والاستعداد لدخول الأرض ومواجهتهم لاستعادة أرضنا، وأن هذه القضية لم تزل حاضرة، وأردنا أن نسقط مقولة «غولدا ماير» بأن هذا الشعب سينتهي. وبالطبع من حقنا المطالبة دائماً بالعودة وهذا ما أردنا أن نقوله ونوصله للحكومات العربية أيضاً، بأننا شعب لديه حق وهو قادر على تحصيله، والرسالة الثالثة كانت للفصائل المتخاذلة التي لم تتقف إلى جانبنا في أية مرحلة من المراحل. بالنسبة للذين لم يشاركوا في هذه العملية الآن لديهم استعداد كبير للمشاركة في أي فرصة أخرى تتاح لهم والمطلوب من الفصائل إما أن تأخذ موقف جدي لدعم هذه الحراك أو أن تتنحى».

يعي هذا الجيل تماماً أن ضرورة التغيير تفرض عليه تكلفة تتناسب مع درجة أهدافه. فهذه كانت بدايته المظفرة في العمل الميداني إلا أنها تستلزم منه وعياً سياسياً وتقدماً في كل أدوات الصراع فهو لا يريد إضاعة هذه اللحظة التاريخية لا بل يسعى في كل لحظة لاستكمال كل أدواته لتحقيق تغييره الأقسوي، فلا حياة على الحياد ولا إسقاط لأية أداة من أدوات الصراع وأن ما تم على الأرض سيستمر ويرسخ وينضج سياسياً إلى أن يفرز وعيه التاريخي الذي يفرض على بناء فعل واع يقوم على إدراك أن الطرف التاريخي معه اليوم، فيما أن يعاجل عدوه بضربة قاضية، أو أن يبدأ بالترنح أمام ردادات عدوه.

يركز البطل الجريح «إياد خلف» على ضرورة الوعي السياسي لهذه المرحلة وضرورة استثمار كل طاقاتنا خاصة بعدما ما شاهد بعينه ما فعله شباب قليل الخبرة وقليل التنظيم بجنود الاحتلال. يقول إياد:

أردنا أن نوصل لهم رسالة: أن هذه الأرض هي بالنهاية

يظل الشباب الفلسطيني متمرداً على كل اللحظات، وعلى كل الشعارات وعلى كل الكلمات، ولا يتورع عن إبداء كل الجنون المختزن في داخله ليوصل صوته إلى كل العالم وكل التاريخ صارخاً بكلمة «أنا فلسطيني»، وحتى لو اضطر لأن يقتصر لذاته من ذاته، فهو ينتقد كل تفصيل بواقعه، ويعود ويلتحم بكل تفاصيل ذلك الواقع اللثيم، فهو يرفض الاحتلال ويرفض الشرعية الدولية ويرفض كل الحرية المكتوبة والمقروء عنها، ويختار حريته على طريقته، طريقته التي تتناغم مع أوجاعه التي لن يحسها غيره. فهو اللاجئ الفلسطيني المشرد المنكوب الفدائي، هو ولا أحد سواه..

## تطلعات ثائرة

يعبر الشاب أحمد زيتوني، والذي دخل مع رفاقه تلك الملحمة، عن تلك الحالة بمفرداته قائلاً:

«قبل هذا الحدث بيوم كنت أفكر بموضوعين: الأول عن هويتي كلاجئ في سورية، ففي ظل الأحداث التي أشهدها أنا مطالب كل يوم بتبني موقف معين، لذلك في كل مرة كان ردي بأنني إنسان فلسطيني، وبالتالي ماذا يجب أن يكون دوري لأثبت ذلك، فجاء هذا العمل كرسالة ذاتية لأثبت بأنني لا أزال إنساناً فلسطينياً. أما الرسالة الثانية كانت للشعب السوري، وهي أنني كإنسان فلسطيني لدي قضيتي، ولست مطالباً بتبني أكثر من قضيتي الآن. والرسالة الثالثة هي أنه في الفترة الأخيرة من كان هناك تخوف من إعلان دولة من جانب واحد، وبالتالي سيكون حل مشكلة اللاجئيين بتوطيئهم، ولذلك جاءت رسالة هذا الفعل لتثبت للقيادة الفلسطينية وللعالم بأن اللاجئ لن يرضى بحل التوطيئ، ولا يزال حلم العودة حاضر فيه، ولا أظن أننا وصلنا رسالة كافية لجيش الاحتلال لأنه لم يكن هناك تغطية إعلامية كافية، وسياسياً لن نرى منعكسات هذه الحركة سريعاً باعتبارها خطوة أولى، ولن نستطيع الفصائل أن تضغط على منظمة التحرير للعمل على حل مشكلة اللاجئيين، لكن في حال تكرار هذه التجربة فعندها باستطاعتنا الحديث عن مكاسب جدية. ويرى أحمد زيتوني أن هنالك سيناريوهين للوصول بهذا العمل إلى غاياته القصوى. الأول يتجلى فيما لو استمرت الحركة كحركة سلمية فإنها قادرة أن تفرض نفسها على الرأي العام العالمي لتضغط على حكوماتهم. والسيناريو الثاني هو الحراك العسكري فاعتقد أن الثورة الفلسطينية لم ينقصها يوماً السلاح وإنما ما كان ينقصها هو قيادات سياسية قادرة على بلورة هذه النضالات بشكلها الحقيقي».

وعن شعوره بعد هذا العمل قال: «لم أصل إلى مجدل شمس، وشعوري كان رائئاً وفخوراً بالناس الذين حولي.. لقد حملت أشخاصاً لا أعرفهم. لأول مرة نشعر بأننا حقاً فلسطينيين. طالما حضرنا ندوات ومحاضرات لكنها لم تستطع أن تعطينا شعوراً بالهوية الفلسطينية، والنكية هي التي وحدتنا».

لم ينتظر هذا الجيل الشاب طويلاً، فقد شبق معظمه شهبقة الأول مع هبوب رياح الانتفاضة الأولى، وأمضى مراهقته بين شوارع اللجوء والشاشات التي تعرض أحداث الانتفاضة الثانية، وأصر أن يأخذ من صراعه التاريخي معركته المنتظرة. فدعا أولئك الشباب وتداعوا لانتفاضة ثالثة لتقطع الطريق على كل وهم الكيان وهم مطعبيه بأن حقوق الشعب الفلسطيني ستعود بمفاوضات عبثية. قرر الشباب أن يرفض التطبيع والتطبيع والمفاوضات والاحتلال، وذهبوا بكل ثقة متمسكين بفكرة «أننا لسنا محكومين بالأمل وحسب، بل إننا اليوم محكومون بالانتصار».

كانت ديمة كتيلة إحدى البطلات اللاتي شاركن في الاقتحام، وزحفت مع إخوتها وأصدقائها وكل رفاقها إلى أن واجهت أسلاكاً شائكة تركت على يديها ذكرى سيكون لها طعم الوجود، تستذكر ديمة تلك اللحظات وتروي:

«عندما وصلت إلى منصة عين التينة، وجدت أن الشباب الذين سبقوني قد عبروا الطريق باتجاه مجدل شمس، عندها رأيت أمامي طريق واحد وهو طريق التحرير والعودة. لم يمعني شيء عندها من عبوره باتجاه الحلم

• أردنا ان نكون جزءاً من الانتفاضة الفلسطينية الثالثة..

• عودة الفصائل إلى الكفاح المسلح حتى الوصول إلى التحرير..

• نسقط مقولة «غولدا ماير» بأن هذا الشعب سينتهي..

• الوعي السياسي للقضية وادراك أن هناك ثمن يجب أن ندفعه لاستعادة الأرض

## عودة على طريق العودة

عاد الأبطال مع غروب الشمس بعد أن اصطيفوا بأشعثهم في صباح المجدل وظهيرته، عادوا بجراحهم وشهادتهم.. وقد استقبلوا طوال طريق العودة استقبال الأبطال بالزغاريد والورود والأرز والقبلات.. وكل الأندفاعات التعاطفية التي توحى بأنهم قاموا بعمل تاريخي.. هذا العمل الذي التفت كل الناس حوله على الطرقات الممتدة من القنيطرة وحتى مخيماتهم، لتعلن عن احتضان شعبي ينتظر موعداً قريباً يكون فيه هؤلاء المستقبلون مع هؤلاء الأبطال ومع أبناء المجدل الذين ساهموا كثيراً بهذا العمل الكبير في ساحات المواجهة التي جرت، ولو بشكلها الذي لم يكتمل بعد.

كل تلك الكلمات التي رويت على صفحات هذه الجريدة عن هذا العمل البطولي، لن تقدر أن تفي ذلك العمل الفدائي حقه، لكن التاريخ وحده سيعلم أنتصاره لتلك العيون الناظرة والمتحدية أكثر والمصممة على متابعة المسيرة الجديدة حتى الشهادة أو النصر الأكيد.. ووحدها الأيام المقبلة سترينا أن هذا الفعل سيغير خريطة المنطقة، فهو يسحب الشرعية عن كل كلمات الرسميين المبتذلة عن التحرير والعودة والمقاومة والممانعة، لا بل سيفرض ذلك الفعل لمستوى أن يكون الحد الفاصل بين ما قبله وما بعده.. بين من معه ومن ضده، وبين من يلتف من حوله، ومن يبتعد كثيراً عنه ليسوف أو يساوم أو يرتب أولويات، أو ينتظر موازين القوى لتميل دون عناء ولن تميل.. فالיום لا صوت يعلو على صوت التحرير.



## سورية على مفترق طرق..

# الحركة الشعبية والأكثرية «الصامته»

◀ محمد الذياب

يجري الخلط في الكثير من المفاهيم المتعلقة بالحركة الشعبية في سورية، بدءاً من مفهوم الحركة نفسه مروراً بمكوناتها والأطراف المشاركة فيها، بما وصل إلى حدود اتهام شرائح واسعة من المجتمع بالخيانة والرجس، ومحاولة لباسها لباساً واحداً وتجاهل التمايز بين الطبقات الاجتماعية المختلفة، بينما يكمن الخلط الأهم في طبيعة الإصلاح والتغيير المنشود الذي لا شك أنه يختلف باختلاف مصالح تلك الطبقات والشرائح. ولم يكن من شأن هذا الخلط إلا أن أصبح معيقاً للحركة ومغيباً لأهم عناصر التغيير الحقيقي، وممهداً للاستعصاءات المدمرة من كل شاكلة ولون...



والتنظيم فيما بينها، وإلى اتخاذ مواقف مختلفة حوله..

وعلى الرغم من كل هذا لم ينزل الجميع إلى الشارع، لا بل الأكثرية المسماة بال«صامته» لم تنزل إلى الشارع، وهذا لم يعن إطلاقاً أنها بذلك أصبحت في موقع التأييد للوضع السابق؛ فالإم يعود صمتها «تظاهراً»؟ وهل هي تعد بذلك خارج الحراك أو النشاط السياسي؟

### النشاط السياسي للأكثرية «الصامته»..

تمارس تلك الأكثرية نشاطاً وتواصلًا سياسياً تزداد حماته يوماً بعد يوم، إلا أنها لما تنزل إلى الشارع بعد، ويعزو الكثيرون ذلك إلى خوف الناس من البطش الأمني، وهنا يظهر التساؤل الذي قد يبدو فجاً على الرغم من أهميته وهو: هل الجماهير التي نزلت إلى الشارع في المناطق الأكثر سخونة في البلاد أشجع منها في المناطق التي لم تشهد نزولاً شعبياً واسعاً؟ بالتأكيد السوريون على درجة واحدة ومرتفعة من الشجاعة، وهم موحدون اليوم أكثر من أي وقت آخر على الرغم من اختلاف مجريات الأحداث من محافظة إلى أخرى، والخوف إن وجد، ليس بعامل أساسي، ويزول عند اتضاح الرؤية للإصلاح والتغيير. لذا فالأكثرية الصامته صامته تظاهراً فقط وليست، ولن تبقى،

صامته بأشكال التواصل السياسي والتنظيمي والتسيقي، وما صممتها تظاهراً إلا لأنها لم تصادف ذاتها في ما يرفع من شعارات، وبالأخص في المسألة الاقتصادية - الاجتماعية والمغيبية عمداً، فبالتأكيد لن نجد أنفسنا أحراراً عندما يقال: الشعب السوري ليس بجائع.. بل يريد الحرية؟

سنختلف كثيراً عندما نشعر أننا نستجير من الرمضاء بالنار، وسنختلف كثيراً عندما يلغ الضباب حراكنا، فاختلفت المواقف من الحركة، بمعناها الواسع العام، بشكل معياراً إضافياً للفرز بين الشرائح الاجتماعية المختلفة عن بعضها طبقياً بالدرجة الأولى وما يستتبع الطبقي من السياسي والثقافي..

وإختلاف المواقف لا يعني الموقفين البسيطين من الحراك «مع» أو «ضد»، واللذين قد يلعبان في غير وقتيهما دوراً تسطيحياً بما يجعل الحراك لعبة كره وفر جوفاء، بل يعني بالدرجة الأولى تحديد الشعار الأساسي للحركات الجماهيرية بجميع أشكالها، وبالتالي حزمة المطالب التي تخص الأكثرية في البلاد أو قواها المنتجة. ومن الطبيعي أن الشعار الأساسي لن يكون وحيداً في نهاية المطاف، بل يوجد الكثير من المطالب المحددة والملموسة الضرورية لإزالة آثار السياسات الليبرالية الاقتصادية المدمرة للاقتصاد الوطني وللقوى المنتجة.

## هل ستوقف الحركة الشعبية؟

◀ مهند دليقان

هناك من عض على أصابعه وتملكه الحزن ودخل في دوامة من الأسى «الثوري»، وبدأ يجهز حقائبه «اليسارية» ليمضي بعيداً عن ساحة الفعل كما كان دائماً، وذلك عقب يوم الجمعة ١٣ أيار، حيث لم تكن الحركة في السوية نفسها من حيث امتدادها الأفقي والعمودي.. وبالمقابل فإن هناك من بدأ يقرع طبول النصر ويوزع حلوى التطهر من «المؤامرة»، الرأيان السابقان، عدا عن مزاجية من يمثلها ويدعيهما وعن درجة صدقيته، فإنهما يشكوان ضعفاً في الرؤية وخلال معرفياً كلف وسيكلف السوريين الكثير ريثما يزيج الشعب السوري عباءة المنطقين المتضادين شكلاً المتفقين مضموناً!! فهل فعلاً انتهت الحراك؟ هل أوشك؟ وأيضاً هل انتهت «المؤامرة»؟ هل أوشكت؟

للإجابة على الأسئلة السابقة والوصول إلى نتائج ملموسة تفسر ما يجري وتسمح للناس بتوجيه دفة حركتهم إلى حيث مصالحهم فإن من الضروري ضبط المفاهيم التي تشكل مجموعها أجدية التعامل السياسي-النفسي مع الحدث، وأول تلك المفاهيم وربما أهمها هو مفهوم الحركة الشعبية..

يعمل، بداب ومتابرة، كل من الإعلامين الرسمي والخارجي، إضافة إلى من يدعون لتمثيل الحركة من شخصيات «فضائية» ومواقع «فيسبوكية»، على حصر مفهوم الحركة بالتظاهر، فحيث ينشط التظاهر تنشط التغطية وتشتد، وترتفع الشعارات وتتغذى «الأمال»، وحيث يتراجع التظاهر تتراجع المظاهر السابقة ويحل محلها اليأس والقبوط وربما التفرج.. الأمر الذي أمعن الجميع في تعييبه هو من جهة موضوعية الحركة ومن جهة أخرى امتدادها وتنوع أشكالها وغناها..

القول بأن الحركة ذات أساس موضوعي يعني بأنها لن تتوقف ما لم تحقق أهدافها، وتراجعها وتقدمها محكوماً بظروف ذات طابع تكتيكي، ولكن الذي يسير إلى الأمام ودون توقف هو تنامي الوعي السياسي بين الجماهير. لا يجتمع شخصان في سورية كلها إلا وثالثهما السياسة، الحديث يتضح ويتضح شيئاً فشيئاً، ويتوافق الناس فيما بينهم على مصلحة بلدهم، ويقومون بفرز أعدائهم من أصدقائهم، ويشقون طريقهم بعيداً عن الفرز الجاهز الذي يقدم لهم إعلامياً وهو «شعب» مقابل «نظام»، وبالتالي فهم يراجعون كل يوم كل ما حدث في جميع الأيام، وحتى السنوات السابقة، ليجدوا أن «الشعب» ليس كله شعباً، فهناك ضمناً من يمض دماهم ويديعي انتماءه ل«الثورة»، و«النظام» ليس كله نظاماً، فرغم وجود شخصيات وطنية إلا أن هنالك فاسدين كباراً يطغى حضورهم، وهم صناع للفوضى ومغذون للنعرات المختلفة بتخريبهم الاقتصاد الوطني ولبرلته واستزلاماتهم الطائفية المحبأة والعلنية، والتي يعرفها مجتمعنا جيداً وبالطرق التي استخدموها ليكنتموا حريات الفقراء مقابل إطلاق حريات السادة رجال الأعمال الأفاضل! الجماهير تسير قدماً نحو فرز وطني واسع تصطف على أساسه إلى جانب مصلحتها التي هي مصلحة الوطن، مصلحة سورية، ولا شيء غيرها.. ولذا فإن الحركة لن تتوقف.

## الحوار الوطني.. ضرورته، اتجاهه، وشكله..

◀ عصام حوج



كان الحوار الوطني وما يزال ضرورة تاريخية تفرض نفسها، وخصوصاً منذ أن أعلن عن مشروع الشرق الأوسط الجديد، وهذا ما دعانا في اللجنة الوطنية إلى إطلاق مبادرة الحوار الوطني منذ عدة سنوات، وعقد الندوات المتتالية منطلقين من فهم عميق لاحتمالات التطور في الوضع العالمي والداخلي، ولكن المنطق السائد في الحركة السياسية والفهم القاصر من هنا وهناك في قراءة الموقف، حال دون الوصول إلى الجانب الإجرائي وفق صيغة متكاملة تقوم على أساس ترابط المهام الوطنية والاقتصادية الاجتماعية والديمقراطية، تجنب البلاد ما يمكن أن يحدث اليوم.

الحقيقة التي لم تعد قابلة للنقاش الآن هي أن البلاد أمام منعطف تاريخي يحدد المصير اللاحق لكل عناصر البنية الوطنية السورية/الجغرافيا، البشر، والثروات، والثقافة، والقيم، وبنية الدولة، والدور السوري في شبكة العلاقات الإقليمية والدولية.. ولأن الوضع على هذه الصورة، فإن المهمة الأولى هي ابتداء الحلول الواقعية لمعالجة الوضع الراهن، وفتح الطريق مباشرة أمام عملية إصلاح شامل وجذري، وكل ما عدا ذلك سواء كان استقواء على الشعب بالحديد والنار أو إجراءات ترفيقية، أو زعم واهم بتخطي الأزمة من جهة، أو استقواء بالخارج والاستمرار في رفع الشعارات الاستفزازية من جهة أخرى، هو نفخ في الجمر، وسيأخذ البلاد حتماً إلى أوضاع أكثر مأساوية ودموية لاحقاً.

لا يستطيع أحد بمفرده أن يتصدى لاستحقاقات الوضع الراهن، سواء كان النظام بكل ما يمتلك من أدوات، أو أية قوة أخرى، لذا فإن الدعوة إلى حوار وطني شامل هي خطوة لا بد منها لوضع الجميع أمام مسؤولياته، وحتى يكون هذا الحوار فاعلاً ومنتجاً ومعبراً عن المصالح العميقة والحقيقية للشعب، يجب

هدراً لمن يبكي عليها. وعبر حوار كهذا يمكن أن نحدد خط الفصل بين المؤامرة بأبعادها المختلفة، وبين الحركة الشعبية المشروعة، لا بمحاولة القفز من فوق هذه الحقيقة أو تلك، وتغطية السموات بالقنوط كما يقول المثل الشعبي، وهكذا فقط نتنصر لوطن ضد أعدائه في الداخل والخارج ونصون كرامة أبنائه ونحترم دماء شهدائه، ونفتح الأفاق أمام أبناء الشعب السوري إلى رحاب العدالة الاجتماعية والحرية والديمقراطية، وبذلك نكتسب ليس احترام القوى الغيرة على سورية فقط، بل يمكن أن تصبح القوى الوطنية داخل النظام وخارجه بعد هكذا إنجاز مثلاً تحتذي به جميع شعوب المنطقة في حل الاستعصاءات التي تمر بها العديد من بلدان وشعوب المنطقة، بعد أن حاولت قوى دولية وإقليمية وداخلية حرف مسار انتفاضات الشعوب عن خطها الصحيح، وإذا توفرت الإرادة السياسية لمبادرة كهذه فإن الشعب السوري ذا التقاليد الوطنية العريقة منذ ميسلون إلى طرد الاحتلال الفرنسي ودفن مشاريعه التقسيمية، مروراً بكس الديكتاتوريات المتعاقبة، وإحباط الأمل الاستعمارية، والذي كان دائماً سباقاً إلى محاكاة أفضل ما أبدعه العقل البشري في ميادين الفكر والسياسة والأدب... إن مثل هذا الشعب قادر على تجاوز الأزمة الراهنة بتضافر جهود كل أبنائه المخلصين وما أكثرهم.

إننا نؤكد مرة أخرى أن التجاوب مع المطالب المحقة للحركة الجماهيرية ليس دليل ضعف كما يظن البعض من أصحاب المروؤس الحامية، بل على العكس من ذلك تماماً، فملافاة مطالب الحركة الشعبية اليوم هي دليل على الثقة بالنفس ورباطة الجأش. ونؤكد لمن يستجد بالخارج بأن الخارج لن يجلب الديمقراطية لأحد، ولن يوقف نزيف الدم، بل سيزيد من تدفقه، وإذا كان الجميع مدعواً إلى التجاوب مع الحوار الوطني العام، فإن المسؤولية الأساسية تقع على عاتق النظام قبل الجميع، على الأقل بسبب موقعه في المعادلة. لن ينفع أحد في اللحظة التاريخية الراهنة المكابرة الجوفاء، ولا العقلية الكيدية الانتقامية، أو الخطاب الثأري.

– الدور الوطني لسورية الذي تكون بالتراكم التاريخي وأصبح ثقافة شعبية، هو إنجاز وطني ينبغي تعميقه بالانتقال إلى خيار المقاومة، الأمر الذي يتطلب تأمين البنية التحتية لها.

– فسح المجال لمناقشة كل القضايا الأخرى التي تهتم الشعب السوري.

– إننا نعتقد أن هذه البنود من الممكن أن تكون نقاط الاستناد الأساسية في أي حوار وطني حقيقي، بعيداً عن حوارات الغرف المغلقة والحوارات الفتوية التي يقوم بها البعض، أو حوارات تقاسم الكعكة التي سعى ويسعى إليها البعض الآخر، حوار تتمثل فيه القوى والنخب التي تقر بالثوابت الوطنية السورية قولاً وفعلاً دون استثناء، للوصول في النهاية إلى صيغة تفصيلية لمعالجة الوضع بأبعاده المختلفة.

– الحركة الشعبية المطالبة بالإصلاح حق مشروع للشعب السوري، وعلى جهاز الدولة حمايتها وفق قوانين عصرية ديمقراطية، ونبذ كل أشكال الإساءة إلى المواطن السوري، أو الانتقاص من حقوقه، وهدر دمه وكرامته.

– السيادة الوطنية ووحدة التراب الوطني خطان أحمران، لا يحق لأحد تجاوزهما لأي سبب كان، ورفض كل أشكال التدخل الخارجي في الشأن الداخلي.

– صياغة نموذج اقتصادي بديل بعد أن ثبت بالتجربة أن النموذج الليبرالي المتبع فاشل، وعلى نقيض من مصلحة الوطن والشعب.

– الفساد، وبالأخص الكبير منه، مشكلة وطنية ذات أبعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وأخلاقية، واستتصاه مهمة وطنية من الدرجة الأولى.

## سورية على مفترق طرق..

# الضرورات تعني تطوير القطاعات الإنتاجية..



◀ ستيركوه ميقرى

وجهت الحكومة السابقة عبر فريقها الاقتصادي بسياساته الليبرالية المنفلتة من عقابها، ضربات موجعة للقطاعات الإنتاجية «صناعة وزراعة» لحساب القطاع الريعي، وبالتالي سرعان ما تحول الاقتصاد السوري من اقتصاد إنتاجي، إلى اقتصاد ريعي، مما أدى إلى أضرار لا حصر لها بالقطاعات الإنتاجية دون أي شعور بالمسؤولية تجاه الوطن والمخاطر التي ستواجهه نتيجة هذه السياسات المدمرة، ورغم التحذيرات الكثيرة، لم تجر أية محاسبة جديّة للحكومة على ما قامت به والمخاطر الهائلة التي شكلتها سياساتها.

ويبدو أن أزمة جديدة تدور رحاها الآن، عنوانها من أين ستبدأ الحكومة الحالية عهداً؟ هل من الصناعة، أم من الزراعة، أم من المشروعات الصغيرة، أم من قطاع التصدير الذي أوقفته شركات اقتصادية كبرى، وذلك بعد اهتزاز قيمة الليرة السورية أمام الدولار مؤخراً ومحاولة البنك المركزي الحفاظ على قيمتها ووقف تدهورها؟ الحقيقة أن الحكومة الجديدة هي ضمن حقل ألغام، وكل خطوة غير مدروسة فيه ستؤدي إلى انفجار لغم في وجهها وسط الحراك الشعبي المتزايد، الذي حركته وأزمته السياسات الليبرالية الخاطئة للحكومة السابقة وفريقها الاقتصادي، فتحوّلت مشاكل الناس إلى أزمات مستفحلة لم تكن نتائجها مقتصرة على الأمور الاقتصادية، بل تعدتها إلى السياسية والاجتماعية والوطنية.

وقبل أن نخوض في هذا الموضوع نعود لنذكر مرة أخرى ثلاثة ورابعة وخامسة ونرجو أن تكون الأخيرة، أنه يجب الانطلاق في وضع السياسات والخطط الاقتصادية من الضرورات وليس من الإمكانيات، إذ يجب إعداد الخطة على أساس احتياجات الاقتصاد الوطني والمجتمع السوري وفقاً لأجل زمنية محددة وليس على أساس الإيرادات المقدرة، وذلك من مدخل احتياجات الاقتصاد والمجتمع السوريين وليس من مدخل حجم الإيرادات المقدرة وبما يعكس إيجابياً على اقتصادنا الوطني وحياة أبناء شعبنا.

فالانطلاق من الضرورات يجب أن يعني محاربة الفقر والبطالة ووضعها كهدف للخطة القادمة، والتي يجب أن

تؤدي إلى ارتفاع أرقام النمو الحقيقية في اقتصادنا وحل الخلل بين الأجور والإرباح، ورفع القدرة التنافسية للاقتصاد السوري بقطاعاته الإنتاجية المعروفة تاريخياً، والضرورة تعني أيضاً ازدياد دور الدولة في إدارة الاقتصاد الوطني، و تقتضي ازدياد الثروة الوطنية المتراكمة من الناحيتين العينية والنقدية، والضرورة تعني أخيراً العودة لكي تقوم الدولة بتأدية دورها الاجتماعي في دعم المواد الأساسية لحياة الشعب السوري.

ولإجابة على السؤال المطروح من أين ستبدأ الحكومة الحالية نقول: إن الإجابة على هذا السؤال يتضمن كلمتين فقط وهي من «القطاعات الإنتاجية» حصراً وهي «الصناعة والزراعة»، والابتعاد ما أمكن عن القطاعات الريعية، ذلك أن الربح كسب للأرباح بطرق ملتوية غير منتجة وغير مشروعة، اعتماداً على أداة من أدوات الفساد، «التجارة شطارة» كما يقولون، وهو في آخر الأمر انقراض من الرأسمال الوطني وليس زيادة فيه، وهو بذلك أيضاً يخلق خللاً في آليات التناقص وتطوير الثروة الوطنية، من ذلك مثلاً، عائدات النفط، التي، إذا استهلكت مباشرة، تعد ريعاً، لأن من المفروض أن تمر عبر قنوات سليمة لتتحول إلى رأسمال حقيقي ملموس ويرميل النفط الخام يبلغ سعره حالياً حوالي 110 دولار، في حين لو كرر وصدّر كمشتق «بنزين» مثلاً سيرتفع سعره إلى 270 دولار تقريباً مما يشكل قيمة مضافة تبلغ 2 أضعاف لو صدر خاماً.

والاقتصاد الريعي يعني عملياً تبادلًا للقيم المنتجة من القطاعات الإنتاجية أصلاً، وهو ما ينسجم مع مقومات

الدولة الضعيفة أو الدولة الرخوة «وبالتالي يشوه المؤشرات الاقتصادية من خلال تحويل أغلب الاستثمارات إلى قطاع الخدمات والعقارات وتحويل المجتمع إلى مجتمع استهلاكي وإشاعة نمط الاستهلاك التريفي والتفاخري واستغلال الفرص عن طريق المضاربات، وبالتالي يوجد فصل وانفصال بين العمل ومردوده». وإن من أهم خصائصه أن آفاق تطوره محدودة بسبب ضعف التراكم الرأسمالي، الذي يؤدي إلى تبادل قيم منتجة سابقاً، في حين أن الاستثمار في قطاعات إنتاجية «زراعة وصناعة» يعني إضافة طاقات إنتاجية جديدة إلى الطاقات القديمة وإنتاج قيم جديدة تُفعل دور القطاعات الأخرى، ويؤدي إلى زيادة حقيقية في الناتج الوطني الإجمالي، وإن الاعتماد على استيراد السلع والتكنولوجيا بدلاً من التوجه نحو تصنيعها أو توظيفها أو على الأقل البدء بذلك، سيتوافق مع سوء توزيع للناتج الإجمالي، وفي أغلب الأحيان يترافق مع امتلاك أموال كثيرة من قبل الدولة، لكن رغم ذلك تشدد حدة الفقر بين المواطنين وتزداد معدلات البطالة لأن هذا الاقتصاد بطبيعته غير مولد لفرص العمل.

ولذلك لا بد من إعادة النظر بالخطة الخمسية الحادية عشرة من أجل إعادة هيكلة الاقتصاد السوري للخروج من الطابع الريعي الذي يتسم به حالياً، وذلك عن طريق تحفيز الاستثمارات وضخها في قطاعات إنتاجية وتوزيعها واستغلال كل الإمكانيات المتوفرة وتصنيع المواد الأولية وعدم تصديرها على شكل مواد خام، مع ضرورة التوقف عن انتظار

## المحكومون بالأمل..

◀ أمين عليا

سنوات طويلة يخرج علينا فيها مذيع الأخبار بطلته الاعتيادية، يحدثنا عن طقوس الاستقبال والوداع.. عن زلزال في قارة بعيدة، أو عن حرب في بلد ما يصعب لفظ اسمه. ولسنوات طويلة اعتدنا أن نغلق التلفاز ونذهب إلى فراشنا بأحلامه المغرية..

في صباح ليس بالبعيد يطل المذيع نفسه، ولكن بشكل آخر ولغة مختلفة.. هذه المرة تعرف أسماء البلدان التي يلفظها، قرأنا تاريخها، وتعلمنا من الكتب المدرسية أننا نشترك معها (بالآلام والأمال): تونس، مصر، اليمن، العراق.. بلاد العرب أوطاني باتت تحرك فينا تلك المشاعر الدفينة، ذلك التوق الأخاذ إلى الصراخ.. إلى البكاء.. إلى الضحك..

بلد آخر ليس مجرد اسم فقط، شرينا من مائه وشهدنا جفاف أنهاره، مشينا في طرقاته وتغرنا بحضره، غنينا له الأغنيات وتعلمنا بالألحان.

بلد هجر أهله السياسة باعتبارها خطأ أحمر، شيئاً محرماً يؤدي بصاحبه إلى المجهول، فامتنهوا لغة الصمت في الحديث عن مشاكلهم، وفي أحسن الأحوال همس.. ونسي فيه الساسة هموم الخلق، ربما لأنهم هرموا على كراسيهم الدبقة.. فكس الناس أوجاعهم اليومية، فقرهم، بطالته، قلة حيلتهم... إلى أن اعتمر القلب بالحزن والأغتراب.. تركوا صناديق اقتراعها الصدئة ليملاها الشعراء والدخلاء.. تخلوا عن شوارعها وأرصفاتها لأصحاب المواقف المأجورة.. بلد لطلما تغنينا فيه بتاريخنا وماضينا العتيق لا لشيء إلا هرباً من واقع بائس تتشابه فيه عيون البشر، وتخبو فيه أحلامهم.

وكالطفل الوليد الذي خرج لتوه من رحم أمه، لا يعرف إلا البكاء والصراخ، نخرج عن صمتنا الطويل وعن كبتنا المقيت، لا نعرف في البدء إلا لغة (الأم)، نترنح في مشيتنا الأولى يميناً وشمالاً، وقد نتشر ونعاود الوقوف.. تصبح السياسة - تلك الكلمة التي هجرناها دهرًا - محور أحداثنا اليومية ولو بشكلها الطفولي الفج.

تختلط علينا الصور وتتسارع الأحداث وتخبط على أعتاب الفضائيات والإذاعات، ندخل دوامة القلق والترقب والانتظار.. ولكننا ندرک بعد قليل أن صرختنا الأولى لن تبقى مجرد (أهات)، بل ستغدو كلمات تتطق أوجاعنا وتزيد عظمنا الطري صلابة وقوة ورغبة بالعمل.

ندرك أننا سننضج لا محال، لأنه وفي أحد الأيام حکم علينا بالأمل.

## الخوف والاحتجاجات الشعبية..

◀ م. دليقان

.. ذلك زمان مضى، الزمان الذي ساد فيه -وتحت مسميات «الواقعية السياسية»- اعتقاد راسخ بأن الناس أضعف وأقل جرأة من أن تتحرك، وأكثر سلبية وعدمية من أن تشارك في الفعل السياسي وتهتم بالشأن العام. ورغم ذلك فإن أثر هذه العقلية ما يزال منتشرًا، ونجد واضحاً عند «المعارضة الخارجية» وغيرها ممن يدعي خوفه على الحركة الوليدة، خوفه من خوف الناس.. ويسعى جهده إلى تثبيت مسمار جحا في حائط التغييرات السياسية ليعودوه الناس كل حين لأن الناس وفقاً لرأيهم لن يجدوا طريقهم إلى الحراك دون ذلك المسمار..

حين يتحدث البعض عن الخوف كعيق لتطور الحركة الشعبية الناشئة، فإنه ينسب ذلك الخوف وتاليه الإحجام عن الاشتراك في الحراك إلى التعامل الأمني معه والاعتقالات وإلى ما هنالك، ولا شك أن هذا التحليل لا يعدم الصحة لكنه يخفي جانباً لا يجوز بل ومن الخطر إخفاؤه.. ويتمثل ذلك الجانب في أن خوف الناس لا يعني جبنهم وعدم قدرتهم على الإقدام، إنما يعني عدم وضوح مسار ومآلات الحراك، بل وعدم وضوح شعاراته وشكله، فالناس التي لم تنزل إلى الشوارع للاحتجاج هي ذاتها أو أن جزءاً كبيراً منها، هو ذلك الجزء نفسه الذي يحجم عن الاشتراك بانتخابات مجلس الشعب وانتخابات المجالس المحلية وجميع أنواع وأشكال الانتخابات لقناعته الراسخة بعدم جدواها.. وإضافة إلى ذلك فإن نقيض الخوف، أي الشجاعة، لم تكن يوماً مسألة مورثات، ولكنها تبقى على الغالب سمة مكتسبة، وحين ينتقل الحديث إلى مستوى أعلى من الأفراد، أي حين يغدو حديث في الشأن العام حديثاً اجتماعياً فإن عاملاً أكثر أهمية هو الذي يولد الشجاعة، إنه عامل النضج الفكري، نضج الموقف، ويمكن فهم جزء من إحجام الناس على أنه نضج من زاوية قناعته بأن لا أحد من الأطراف المتصارعة -أو التي تصور على



أنها هي المتصارعة- يمثلها، وهو أي الإحجام من الجانب الآخر، تأخر في نضج الموقف الذي يطهى على نار الأحداث والاصطفافات الوهمية التي على الناس أن تميزها، وهي تحاول ذلك وتتجج يوماً بعد يوم كي تتخذ موقفاً واضحاً تجاه عدو واضح.. وحينها فقط ستكون الحركة الشعبية قطعت الطريق على إمكانيات اغتيالها وتحويل مسارها.

## المادة الثامنة.. واستقلال النقابات

◀ الحامي محمد عصام زغول

ينص دستور الجمهورية العربية السورية الدائم في المادة الثامنة منه على أن:

(حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب القائد في المجتمع والدولة، ويقود جبهة وطنية تقدمية تعمل على توحيد طاقات جماهير الشعب ووضعها في خدمة أهداف الأمة العربية).

وهذه المادة كانت قد ولدت مواد أخرى في القوانين المختلفة لتنفيذ مضمونها وتحقيق مرادها، فقد نصت المادة الرابعة من قانون تنظيم مهنة المحاماة على أن:

(تعمل نقابة المحامين بالتعاون مع الجهات الرسمية والشعبية في القطر العربي السوري، وبالتنسيق مع المكتب المختص في القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي على تحقيق الأهداف...).

في حين نصت المادة الثامنة من القانون ذاته على ضرورة استقلال النقابة مالياً وإدارياً، فيما لم تذكر المادة شيئاً عن

وستقف الأخلاق؟ في حين أن نقابته نفسها ليس لها أن تتكلم إلا بالتنسيق والتوجيه من صاحب الرأي الواحد!

هل من المقبول أن تبقى النقابات تعمل بذلك التوجيه، أو بذلك التنسيق، أو بذلك الترتيب المسبق، الذي فرضه القانون والدستور في مرحلة معينة؟

أم هل من المقدر أن تبقى النقابات على مختلف مسمياتها وأشكالها تابعة بشكل أو بآخر لأي حزب، أو تجمع أو رأي؟ إن لم تكن النقابات اليوم مستقلة فمن سيبر عن الرأي والرأي الآخر!

إن لم تكن النقابات مستقلة اليوم فمتى ستكون؟ هل يكفي أن نتحدث اليوم عن الحوار دون أن نمارس أولوياته؟ ولعل من أولوياته اليوم البدء بتحقيق استقلال حقيقي للنقابات، وتحقيق ضمانة لحرية رأيها، دون رقيب أو توجيه، أو تنسيق!! استقلال النقابات ابتداءً.. هو الضمانة للبدء بالحوار الوطني الشامل، الذي لا شك قد طال انتظاره!!

essamaldean@yahoo.com

## معاً.. في المنتصف

◀ عبد الرزاق دياب

ما تزال اللغة عسيرة على البعض، وكذلك الموقف، وأغلبية الذين يتطحنون في الأزمات ليعلموا أنهم على قيد الحياة لم تزل خطواتهم مرتبكة، وفي لجة التحول من الممكن أن تسمع الصوت وصداءه، البيان وبقيضه، النداء وتداعياته ونتائج بتجالييل مختلفة.

ها هنا حيث الوطن في وجه جديد، ويد لا تريد من يراوغها، ما زال الكثيرون يتأملون في صفحة النهر ملمس الحصى، وتوهان (الاشنيات) الذاهلة دون حراك، والطحالب المتمسكة بعكس التيار، وتحلم بأن تصير سلموناً يسعى إلى الماء العذب مع أمل البقاء.

لم يحسم أصحاب المنابر لغة انتمائهم، وفي ذروة خطاباتهم الملونة يتبارون في الالتفاف، ثمّة من يطلق الأحكام والأوصاف، وثمرّة من يدافع عن رأيه باتهام بقية الألوان، ومن بقي يهوى الشفاف الذي لا طعم له ولا رائحة.. الحياذ ريثما تتكشف الغمة.

هنا.. من داخل التثرثرة التي ترى بالمتحارين مجرد فرصة للبحث والتحاور، فرصة لصوغ البيانات ودحضها، ووقتاً فائضاً للحديث عن تحذيراتهم ونصائحهم وتوجهاتهم السديدة، ويفردون الصفحات المتحركة على مواقع التواصل لاستبيان رأي أتباعهم ومريديهم، ويباغنوننا بالعبارة التي لا تصنع فارقاً بين الحكمة والحجب، بين الرأي ونقيضه، بين الدس والوضوح، والثروة ومستقبل البلاد والعباد... هنا من داخلها ثمّة من يركب القلق كخيار وحيد.

أما الأصوات التي من المفترض أن تحدث فارقاً فيها هي تتلون بدرجات اللون الواحد، تنتشي فتهدّي، تصحو فتعود إلى ألوانها المائعة، أما في الحقيقة فهي تنتظر ريشة تقول لولونها إنك هنا إلى جانب الوردة أم الدم.

ما قلناه عن الأمس كمجازفة أضحي اليوم تردداً مملاً، ما حسبناه مستحسلاً صار ممكناً.. واليوم تتبدل الوجه كأطباق المطاعم الفاخرة، أما جيوش المنتفعين فيشبهون في تبدلهم الملاعق الساقطة التي سرعان ما يؤتى بغيرها.

اليوم يغادر مدير عتيد مكتبته في التلفزيون بعد انتقادات لأداء إدارته، وأما الفضائية فتودع مديرتها كرسي قيادتها.. ألم نهمز ونصرخ ونصيح إننا نحتاج إلى لغة قادرة كأضعف الإيمان - على اقتيادنا إلى شاشتنا الوطنية، وإننا نتوق إلى صحافة بمستوى تطلعاتنا، صحافة ليست حبراً على ورق، وحكي (جرايد)، وقادرة على إيقاف من يسرقنا وينهبنا ويغمر بنا خلف القضبان، وإذاعة لا ترى في الأبراج آخر أحلامنا، وفي أصوات مديعها أعذب ما ترومه أذنانا.

اليوم يقول لنا الوزير الحبيب إن العمال المؤقتين يمكن تنبئتهم بعد أن استسلموا لعقدة العقد الذي قلنا إنه من ذل ذات يوم، وإنه مجحف، ويبد رب العمل متى شاء نزعته ومتى شاء مدده.. ألم تكن وزارة العمل عقدة المنشار للعمال، ولو حاولنا إحصاء ما كتبه الصحافة السورية الرسمية والخاصة عن تصريحات وزيرتها العارفة بشؤونها، وعن فقراء سورية، وعمالها، والعقد شريعة المتعاقدين لحازت على نصف الورق والحبر وكل القراء.

اليوم ينزل الوزراء إلى الشارع، ويفتحون مكاتبهم، ويحددون في برنامجهم يوم استماع للمواطنين الذين كانوا يطردون من أمام غرفة مستخدم مديرية صغيرة.

اليوم تطور قانون الإدارة المحلية، ونعير قانون التأمينات والإعلام، ونمد للمواطن جسراً كهربائياً في السومرية (التي لها حكاية) ليعبر على الهواء دون أن يحرق (كوليسترولوه) الغالي بعد أن كان يتجاوز من الطرف إلى الآخر ويده على قلبه.

مع كل هذا التغيير الكبير لوقائع حياتنا اليومية، وتفاصيلها الجديدة، ومخاوفنا التي ولدت لحظة التحول ما زال من بيده قدرة الرأي على البوح يقف في المنتصف، يتلون حسب تصاعد الموقف عسى أن يجد مكاناً له في قدامات الوقت، وفي هذا المعترك صعد ركاب الهامش ليتوسدوا المرحلة.

في هذه البرهة الفاصلة من مصير الوطن.. لا وقت لأنصاف الآراء والمواقف.. والألوان.

■ ■

◀ يوسف البني

**ترافق الانفتاح الاقتصادي في سورية في العقد الأول من القرن الحالي باتساع ظاهرتين وتعمقهما وممارستهما على العلن بشكل فج ومشرعن، بعد أن كانتا تمارسان بشكل مبطن ومستتر على مدى عقود طويلة، الظاهرة الأولى ظاهرة الفساد بمختلف أنواعه واستغلال المنصب والنفوذ لتحقيق المكاسب والأرباح الشخصية الفاحشة على حساب ميزانية البلاد ولقمة عيش المواطن، والظاهرة الثانية هي غياب المحاسبة وعدم توفير فرص متكافئة وعادلة بين أفراد المجتمع وقطاعاته وشرائحه للمساهمة في دعم الاقتصاد الوطني، بل أعطيت الفرص الكبيرة للمتنفذين والمستثمرين الوهميين دون غيرهم، ما جعل الثروة الوطنية عرضة لنهب أيدي قليلة، على حساب فقر الشرائح الواسعة من الشعب السوري وقواه المنتجة.**

وقد أدى الانفتاح الاقتصادي على الأسواق الخارجية إلى خلخلة الاقتصاد السوري وفتيته، ما جعل أقسامه الرئيسية عرضة للاستغلال والتقسام بين حيتان المال والتجارة، وتحول الاقتصاد السوري إلى مجموعة متناحرة من الأجزاء المبعثرة غائمة الهوية، ولم يعد الأمر مقتصرًا على القطاعين العام والخاص، بل ظهر إلى جانبها قطاعات أخرى غير واضحة الملاصق والأسماء، كالقطاع المشترك الذي يقوم على المشاركة بين رأس المال العام ورأس المال الأجنبي أو الخاص، والقطاع المختلط الذي يقوم على المشاركة بين رأس المال الخاص المحلي ورأس المال الأجنبي، وبالتالي أصبح الاقتصاد السوري منقسمًا إلى قطاعات متناقضة لكل منها قواعده وأساطينه وآلياته الخاصة، مثل السوق الخاصة لكل اقتصاد، وقواعد خاصة بالتسعير وتشغيل العمال والأجور والتحويل... إلخ. ولعل الخلل في الاقتصاد السوري حالياً ما هو إلا مقدمة لانهايات محتملة لاحقة إذا استمرت الحكومة الجديدة بمتابعة النهج الليبرالي وتخليها عن دورها الرعائي، وتسليم زمام الاقتصاد للقوى الفاسدة التي ليس لها هم سوى الربح الفاحش السريع، ومع رسوخ هذا النمط سوف تتحالف القوى التجارية والاستثمارية الربعية والمالية والتكنولوجية على ربط البلاد بتقلبات السوق الخارجية، بما يعني استمرار تبعية الاقتصاد للخارج وتشوّهه، واستمرار تخلفه جوهرياً.

■ **الخلل هو مقدمة لانهايات لاحقة إذا استمرت الحكومة الجديدة بمتابعة النهج الليبرالي وتخليها عن دورها الرعائي وتسليم زمام الاقتصاد للقوى الفاسدة التي ليس لها هم سوى الربح الفاحش السريع**

■ **الانفتاح غير المدروس كان السبب في عجز الحكومة عن متابعة دعمها للسلع الأساسية الغذائية والمحروقات، الأمر الذي سبب شرخاً كبيراً بين الحكومة والمواطن الذي امتلأ صدره بالاحتقان والغيف من تصعيب لقمة العيش عليه**

■ **الاستثمارات الأجنبية لم تأت برؤوس الأموال إلى سورية إلا لتحولها أضعافاً مضاعفة إلى الخارج حيث مراكزها الرئيسية، فعملت على تمويل استثماراتها من السوق المحلية، ثم حولت الأرباح والعوائد ورسوم الإدارة والتكنولوجيا للخارج، فضلاً عن ممارساتها المالية التقليدية في التهرب الضريبي بمساعدة الفاسدين المحليين**

**ما وراء الاحتقان الذي تفجر على شكل احتجاجات شعبية....**

## طلاب الاقتصاد: سياسة الانفتاح واللبلة أدت إلى تدمير الاقتصاد الوطني..



استخدامها لتكنولوجيا متقدمة، أدى وجودها إلى عدم ثبات العمالة الموسمية، كذلك فإنه نتيجة لارتفاع مستوى الأجور والمكافآت التي تقدمها الشركات الأجنبية بالمقارنة مع الشركات الوطنية المحلية، فإنه من الممكن أن تؤدي إلى هروب العمالة والمهارات الفنية».

### الاتجار بالبشر وعودة الرقيق

طالب كان موضوع حلقة استيراد العمالة والقرصنة البشرية قال: «إن من سلبيات الانفتاح الاقتصادي الذي انتهجته الحكومة في العقد الماضي ولادة شركات خاصة ووكالات ومكاتب تشغيل خاصة تقوم باستيراد اليد العاملة الرخيصة وبيعها للشركات والمنازل، وفي كل الحالات تخضع هذه العمالة لقرصنة تلك الشركات والوكالات والبيوت المشغلة معاً، فالمكاتب تقطع نسبة من أجورهم تصل حتى ٥٠٪، وأماكن التشغيل تستغلهم وتتحكم بهم كالعبيد والرقيق وتطبق عليهم أشنع الممارسات خارج قواعد العمل الدولية وبعيداً عن الرقابة والمحاسبة، ومكاتب استيراد العمالة تفرض إجراءات خاصة في حال إخلال العامل بعقد التشغيل، ولا ينطبق على هذه الإجراءات سوى تسمية (القرصنة الجديدة)، وظاهرة العمالة الوافدة تحولت إلى قطاع تجاري مربع للشركات الخاصة والمكاتب التي تستبعد العمالة المحلية وتعزّي البطالة بين المواطنين، والقاعدة الأساسية لعمّل هذه الشركات والمكاتب هي الاتجار بالبشر (أي ظاهرة رقيق جديدة)».

### المطلوب اقتصاد

### التنمية والعدالة الاجتماعية

شكلت ظاهرة انتشار الفقر واتساع شرائحه وتعمق مؤثراته، وتدهور أحوال مختلف فعاليات المجتمع مظهراً فاضحاً لليبرالية الجديدة وعولة الاقتصاد السوري، واتخذت التحولات الاقتصادية شكلاً مأساوياً بعد ظهور طفيلية هامشية انتهازية استفادت من هذه التحولات بطرق مختلفة وكوّنت ثروات على حساب الفقراء وجماهير العمال، مدعنة بذلك لوصفات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ونصائح الشركات الكبرى ودولها، والتي لاقت أرضية خصبة وتجاوباً عند المخططين الاقتصاديين الذين كانوا ركيزة الهجوم على الدولة من الداخل، لإضعافها في مواجهة المخططات والاستراتيجيات التي تعدها القوى الإمبريالية - الصهيونية لنيل من صمودنا وأمننا وتطورنا. وقد ظهرت حقيقة الليبرالية الجديدة المتوحشة التي كشفت مساوئها وما جرّته من الويلات والخلل الاقتصادي الاجتماعي، وأضاعت الكثير من مكاسب العمال، وزادت من اتساع وعمق معدلات الفقر والبطالة، وضربت الكثير مما أنجز خلال الفترات السابقة رغم الإنجازات الخجولة في الماضي.

ترافق ذلك مع غياب سلطة القانون والضوابط في اقتصاد السوق مما زاد الفضاخ المالية والانحرافات القانونية المترافقة مع عمليات الخصخصة وتدمير القطاع العام، وتحرير التجارة والخدمات، والغاء الضوابط المنظمة للحياة الاقتصادية، وتقليص دور الدولة في الاقتصاد والمجتمع إلى أدنى حدود. إن انتهاج هذه السياسات قد أدى إلى الاحتقان الشعبي وإلى المزيد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، وإلى التفكك والضعف وعدم القدرة على صيانة أمن الوطن والمواطن، فهل ستتابع الحكومة الجديدة النهج الاقتصادي الذي أوصلنا إلى هذه الأزمات؟ أم أنها ستعتمد خطاً تأخذ في أولوياتها التنمية والعدالة الاجتماعية وحفظ كرامة وأمن الوطن والمواطن؟!!

■ ■

المدرّوس وغير العادل الآثار السبيّة على كافة المجالات الاقتصادية، ففي الزراعة ارتفعت أسعار توريد الحاصلات الزراعية الرئيسية وأدوات الزراعة ومستلزماتها التي يتحكم بها التجار بعيداً عن رقابة الدولة أو تدخلها، وهذا ما سبب زيادة عجز الدولة عن دعمها للسلع الأساسية التي تدخل الخامات الزراعية في إنتاجها، أما في مجال الصناعة فقد أدى استيراد المواد المصنّعة من أثاث وأقمشة وغيرها إلى ضرب الصناعة الوطنية، وتوقفت الكثير من الورشات والمعامل الصغيرة، ما أدى إلى قطع أرزاق آلاف المواطنين العاملين فيها، وانضمامهم إلى جيش العاطلين عن العمل».

- طالب ثالث قال: «أما في مجال التجارة، ونتيجة تحكم بعض المتنفذين بمنافذ الاستيراد والتصدير، فقد أدى الانفتاح الاقتصادي المقترن بالفساد الإداري إلى تصاعد معدلات الواردات بشكل كبير، وتم إغراق السوق بالسلع الرخيصة التي ضربت الاقتصاد الوطني بكل فروعها، وجاءت استثمارات خارجية، وثبت فيما بعد أنها لم تأت برؤوس الأموال إلى سورية إلا لتحولها أضعافاً مضاعفة إلى الخارج حيث مراكزها الرئيسية، لأن إستراتيجية تلك الشركات المستثمرة في التمويل من السوق المحلية، تم تحويل الأرباح والعوائد ورسوم الإدارة والتكنولوجيا للخارج، فضلاً عن ممارساتها المالية التقليدية في التهرب الضريبي بمساعدة الفاسدين المحليين، وفرض أسعار تمويل لتجارها بعيدة عن واقع الأسعار العالمية، نجد أن ما تحوله هذه الشركات كل عام إلى الخارج يتجاوز بكثير التدفقات الجديدة لرؤوس الأموال الضرورية للتنمية».

- طالب آخر قال: «تراجع حجم الصادرات وتعاظمت قيمة الواردات، واحتدمت مشكلة الغذاء واستنزفت مصادر البترول، واتسم الاستثمار الأجنبي بضعف التكنولوجيا المصاحبة له، وتفضيله لأنشطة غير إنتاجية، فرغم تعاظم موارد الاستثمارات الخارجية وتوسع قنواتها فإنها لم تحل مشكلة البطالة، وزاد اختلال هيكل العمالة مع هجرة العمالة الماهرة والمتخصصة إلى الخارج. ومع ذلك فقد اضطرت الحكومة لتشجيع الاستثمار الأجنبي الذي لم يوظف التدفق الواسع لرؤوس الأموال بما يستجيب للأولويات الوطنية ويخلق طاقات إنتاجية وسليمة، بل توجه إلى النواحي الخدمية والمضاربات المالية والعقارات، مع أنه يجب أن يكون السبب الرئيسي لاستقبال الاستثمارات الخارجية هو القضاء على مشكلة البطالة وخلق فرص عمل جديدة».

- معيد في الكلية قال: «تمثلت السلبيات لتدفق الاستثمار الأجنبي إلى سورية في استحواذ هذه الاستثمارات على نصيب الاستثمارات المحلية، وهذا يعني أن الاستثمارات الأجنبية تزامم الاستثمار المحلي وتقتضي عليه شيئاً فشيئاً، وفي حال عدم قدرة الشركات المحلية على منافسة الاستثمار الأجنبي، كما حصل للكثير من شركات القطاع العام الهامة التي تم تخسيرها عمداً ونهبها تمهيداً لخصخصتها أو إعطائها للاستثمار الأجنبي الذي استطاع الاستحواذ على الشركات المتعثرة من خلال مساهمته في إدارتها».

- معيد آخر في الكلية قال: «إن للانفتاح الاقتصادي في سورية، والذي اعتمد على الاستيراد وضرب الصناعة الوطنية والزراعة، واستقدام الاستثمارات الأجنبية، آثار سلبية كبيرة أدت إلى أزمات متسارعة في الحياة المعيشية اليومية، أولها تقليل فرص العمل والتشغيل، وأحداث اختلال في التوازن التنموي والخدمي بين مختلف المناطق، وكذلك وجود الاستثمارات الأجنبية قد أدى إلى اختفاء بعض أنواع المهارات التقليدية نتيجة

انعكاس الانفتاح الاقتصادي على الحياة اليومية لمعرفة بعض آثار الانفتاح الاقتصادي في سورية على الأسواق الداخلية في العقد الماضي، كان لا بد من البحث والتساؤل مع العارفين بالأمر والمهتمين بربط الأسباب بالنتائج. وفي كلية الاقتصاد والتجارة بجامعة دمشق التقينا عدداً من الطلاب كان موضوع حلقات بحثهم «الانفتاح الاقتصادي في سورية، آثاره ونتائج» وسألنا عن الآثار السلبية لهذا النهج، وأفادوا بالتصريحات التالية:

- طالب كان موضوع حلقة الانفتاح الاقتصادي وأثره السيئ على القطاع العام) قال: «هناك عدة آثار سلبية خطيرة انعكس بها الانفتاح الاقتصادي على القطاع العام في سورية، لنخصها بما يلي:

١- أدى الانفتاح إلى إضعاف القطاع العام وتهميش دوره، بعد أن كان الركيزة الأساسية وقاطرة نمو حقيقية، وكان الأداة الفعالة للسيطرة المركزية على الاقتصاد، والسند الرئيسي في انتاج التخطيط، علماً أن القطاع العام لم يتعرض للتصفية النهائية، ومن الممكن إعادة دعمه وإحيائه واستعادة دوره في قيادة قاطرة النمو الوطني.

٢- أدى الانفتاح إلى ظهور مراكز قوى اقتصادية جديدة، وظهر فاسدون ومنفعون ومبتذنون اكتسبوا هيمنة لا يستهان بها، وسيطرة وقدرة على توجيه السياسات الاقتصادية ووضع القرارات العامة.

٣- أدى الانفتاح الاقتصادي إلى نمو هش أدى إلى تمركز الثروة أكثر بأيدٍ قليلة ومحدودة، وتميز النشاط الاقتصادي بالاستثمارات الخدمية بالدرجة الأولى لم تكن الأولوية فيه للقطاعات السلعية كالزراعة والصناعة، وإنما للقطاعات غير السلعية كالنقل والتوزيع والسياحة الأغنياء، والإسكان الفاخر والنقل الخاص وسياحة الأغنياء، والاستثمار في الثروة النفطية والاتصالات، والملاحة العالمية، والاستثمار في المرافق الحيوية الحساسة كالموانئ والمطارات، وكل هذه الاستثمارات هشة وهي دائماً مرهونة بالأجانب.

٤- أدى الانفتاح إلى تقضي الطفيلية التي اتخذت صوراً عديدة مثل استغلال النفوذ السياسي والإداري والرشوة والتواطؤ مع القطاع الخاص على حساب تدمير القطاع العام، والمضاربة في الأراضي والمباني، وتضخيم الأزمات، والاتجار في السوق السوداء والتهرب، والتهرب من دفع الرسوم والضرائب الجمركية، والاستيلاء على أموال الدولة.

٥- إن الانفتاح الاقتصادي أدى إلى اغتيال التخطيط الاقتصادي، حيث لم يعد القائمون على تنفيذ سياسة الانفتاح مهتمين بوضع القوانين والتشريعات والخطط لتحقيق معدلات نمو حقيقية ضمن الخطط الاقتصادية، بل اكتفى أولو الأمر بمراقبة الحركة الاقتصادية، والاتفات في تحقيق (أو هيش) أكبر قدر ممكن من الأرباح في هذه الفورة المؤقتة».

### رفع الدعم أحد مظاهر الكارثة

- أحد الطلاب قال: «إن الآثار الشاملة لسياسة الانفتاح خطيرة جداً على المجتمع وعلى الحياة المعيشية اليومية لعموم المواطنين، إذ لم يكن الانفتاح الاقتصادي مجرد إجراءات اقتصادية، بل امتدت آثاره إلى جوانب كثيرة من حياتنا، وتغلغلت في أجزاء عديدة من الكيان الاجتماعي، فالانفتاح غير المدروس كان السبب في عجز الحكومة عن متابعة دعمها للسلع الأساسية الغذائية والمحروقات، الأمر الذي سبب شرخاً كبيراً بين الحكومة والمواطن الذي امتلأ صدره بالاحتقان والغيف من تصعيب لقمة العيش عليه».

- طالب آخر قال: «كان للانفتاح الاقتصادي غير



## موسكو تطرد

### الملحق العسكري الإسرائيلي

أعلنت سلطات الاحتلال الصهيوني في فلسطين أن روسيا طردت الملحق العسكري في سفارة «إسرائيل» في موسكو بتهمة التجسس.

وجاء في بيان مشترك لوزارة الحرب وجيش الاحتلال أن الكولونيل فاديم ليدرمان من سلاح الجو عاد إلى «إسرائيل» قبل بضعة أيام بعد أن استجوبته السلطات الروسية حول اتهامات بالتجسس وتجنيد عدد من السكان المحليين طلبت منه مغادرة البلاد على الفور كونها لا تستطيع توجيه التهم إليه بسبب «حصانته الدبلوماسية».

وزعم المتهم أن السلطات الروسية فسرت سلوكه بطريقة غير صحيحة وأن لا أساس للاشتباه به. وقال موقع صحيفة «يديعوت أحرنون» الإسرائيلية أن الأيام الأخيرة شهدت اتصالات بين مسؤولين كبار في وزارة الخارجية الإسرائيلية وبين السلطات الروسية «لتهدئة الخواطر»، إلا أن الرد الروسي كان «غير مهاتون» وأن السلطات في موسكو تطالب بمعاينة المتهم. وذكر الموقع أن للملحق العسكري أهمية خاصة في دولة مثل روسيا، فهو مسؤول عن الاتصالات بين الجيشين إضافة للتعاون في مجال الأمن والتصنيع العسكري.

ولفت الموقع إلى أن «السلطات الإسرائيلية» تنظر إلى القضية ببالحخطوة.

أما موقع «هآرتس» فقد كشف أن الاعتقال الذي وصفه به «الغريب» تم بموازة زيارة أجراءها رئيس لجنة الخارجية والأمن في «الكنيست»، شاؤول موفاز، زاعماً أن «القضية لا أساس لها من الصحة وتعود إلى صراعات بين أجهزة الأمن الروسية».

■ ■

## مخطط محتمل لتقسيم ليبيا ووقف الزحف الصيني على القارة

# خبراء: تسليح المعارضة يثير خطر «بلقنة» ليبيا وأفريقيا

◀ سيمبا روسو

حذر خبراء وحقوقيون دوليون من خطر «بلقنة» ليبيا وامتداده على القارة الأفريقية، إذا قررت الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي استغلال ثغرات قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٧٣ بتسليح المعارضة، في وقت يستمر فيه القتال العنيف في معقل الاقتصاد الليبي، مصراته.

صرح المهدي داريوس ناظم، الباحث المتخصص في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى بمركز بحوث العولمة، أن «معمر القذافي دافع عن استقلالية الاتحاد الأفريقي بدلاً من تبعيته للاتحاد الأوربي والولايات المتحدة، وضغط من أجل إنشاء مصرف التنمية الأفريقي واستبدال الفرنك بعملة أفريقية».

وعن التكهانات الرائجة حول وجود مخطط لتقسيم ليبيا، يجدر التذكير بأن الإتحاد السوفيتي وبريطانيا والولايات المتحدة، أثناء مؤتمر بوتسدام في نهاية الحرب العالمية الثانية، لم تصل إلى اتفاق حول مصير المستعمرات الإيطالية المستولى عليها في ليبيا.

فقد كانت الولايات المتحدة تريد وصاية عليها من الأمم المتحدة، لكن الإتحاد السوفيتي اقترح وصاية إقليمية مختلفة بحيث تقع طرابلس تحت قيادتها، وفرانز تحت فرنسا، وبرقة تحت بريطانيا.

ويقول داريوس ناظم إن التاريخ يكرر نفسه الآن، فلا تسعى الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي لتقسيم ليبيا تحت إدارتين في طرابلس وبنغازي فحسب، وإنما تبحث أيضاً عن القضاء على منافسها الرئيسي الذي ضغط من أجل توحيد أفريقيا.

وأضاف «واقعياً، يعتبر التدخل (الغربي) في ليبيا هجوماً على القارة الأفريقية بقطع رأسها. إنهم لا يريدون «بلقنة» ليبيا وحدها - بتفتيتها وتقسيمها - بل يريدون «بلقنة» القارة الأفريقية بأكملها».

من جانبه، أكد كاي ستيرمان، المنسق الإعلامي بالحملة ضد تجارة الأسلحة ومقرها المملكة المتحدة أن «بعض دول الاتحاد الأوربي تدرس أيضاً ما إذا كان توريد الأسلحة إلى المتمردين المناهضين للقذافي قد يزيد من عدم الاستقرار في المستقبل، وهو ما يمكن أن يأتي بعواقب غير متوقعة طويلة الأجل، يمكن أن تلحق ضرراً عظيماً بالمجتمعات وتتنافى مع بناء السلام».



وفي المقابل، قال السفير البريطاني السابق لدى ليبيا ريتشارد دالتون، إن «الحلف الأطلسي ليس لديه مصالح إستراتيجية في ليبيا أو أي أماكن أخرى، تتجاوز ما هو منصوص عليه في معاهدة شمال الأطلسي الموسعة علنا بقرارات مجلس حلف شمال الأطلسي».

وأكد أن «قلق الحلف في ليبيا ينصب على تنفيذ قرار مجلس الأمن ١٩٧٣»، وشدد دالتون على أن «الاتحاد الأوربي يريد أن يرى الاستقرار والازدهار والحكم الرشيد لدي جميع جيرانه».

وقد حذر المدافعون عن حقوق الإنسان من أن تسليح جماعات المعارضة الليبية قد يسفر عن امتداد الصراع القبلي خارج حدود ليبيا، في انتهاك مباشر لتفويض الأمم المتحدة.

وكمثال على واقعة مماثلة في الماضي، ذكر ستيرمان أن واشنطن سلحت قوات المجاهدين في أفغانستان في الثمانينيات والتسعينيات، ما أطال النزاع لفترة طويلة، وأدى إلى نمو المتطرفين المسلحين بما فيهم قوات طالبان المحلية والأجنبية، بالإضافة إلى انتشار مجتمع قائم على أمراء الحرب، وإحباط نمو المجتمع المدني، واستخدام الأسلحة نفسها التي قدمتها الولايات المتحدة سابقاً، ضد القوات الأمريكية وقوات التحالف».

وفي الوقت عينه، كانت ليبيا والصين قد تحولتا سريعاً إلى شريكين رئيسيين في مجال الطاقة، وأصبحت بكين ثالث أكبر

مشتراً للنفط الليبي، إضافة إلى أكثر من ٥٠ مشروعاً استثمارياً. وأشار محللون مثل بيبي أسكوبار، مراسل «آشيان تايمز» ومؤلف كتاب Obama does Globalistan، إلى أن الصين قد تلقت ضربة جديّة بسبب الاضطرابات الأخيرة في شمال أفريقيا.

وقال إن العقود الصينية الجديدة في ليبيا، البالغ مجموعها ١٨ مليار دولار، قد انخفضت الآن بنسبة بما يقرب من ٥٣ في المئة، في مسار يحقق أحد أهداف «قيادة أفريقيا» (أفريكوم) العسكرية الأمريكية للحد من المصالح الاقتصادية الصينية في أفريقيا.

ويذكر أن أفريكوم، ومقرها في شتوتغارت، ألمانيا، هي المسؤولة عن الأنشطة العسكرية الأمريكية في ٥٣ دولة أفريقية.

وصرح اسكوبار إن الولايات المتحدة تريد بشدة قاعدة لها في أفريقيا، فمهد التدخل العسكري في ليبيا لها الطريق لذلك، وقال إن «أفريكوم هي إستراتيجية وزارة الدفاع الأمريكية لمواجهة الاستثمارات الصينية في أفريقيا».

وشرح أن «الهيمنة الكاملة على البحر الأبيض المتوسط وتحويله إلى بحيرة تابعة لمنظمة حلف شمال الأطلسي، كانت على أجندة قمة لشبونة ٢٠١٠ بمشاركة قادة حلف شمال الأطلسي. لقد أفضت تعاملات القذافي التجارية مع الصين كل بروكسل وباريس ولندن وبالطبع واشنطن».

■ (آي بي إس)

شريكين رئيسيين في مجال الطاقة، وأصبحت بكين ثالث أكبر

## واشنطن «تنفي» استهداف روسيا..

### مدفيديف يحذر من عودة «الحرب الباردة»



النوية وهذا احتمال غير مستحب أبداً.. وأعاد مدفيديف التأكيد على تهديد سابق بالانسحاب من معاهدة «ستارت»

التي دخلت حيز التنفيذ هذا العام، في حال نشر الدرع الصاروخية والعمل بها دون أخذ مطالب الكرملين في الاعتبار. وقال «سيكون أمراً سيئاً للغاية وسيعود بنا إلى حقبة الحرب الباردة».

في ردها على تصريحات الرئيس الروسي، أكدت واشنطن أن منظومتها الصاروخية التي يجري نشرها في أوربا «ليست موجهة ضد روسيا».

وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية مارك تونر «منذ سنوات عديدة نقول بكل وضوح إن تعاوننا في الدفاع الصاروخي ليس موجهاً مطلقاً ضد روسيا»، مشيراً إلى أن الولايات المتحدة ما زالت ترغب في «التعاون مع روسيا» حول هذه النقطة.

■ ■

## ماذا خلف الاستيلاء الأجنبي على أراضي أمريكا الجنوبية؟

كما حذرت المنظمة من أن هناك أيضاً عمليات شراء أراضي لأغراض المضاربة من قبل البنوك والمؤسسات المالية، وذلك في أوكرانيا والسنتغال ونيجييريا وروسيا والبرازيل وباراغواي. أما في الأرجنتين، فقد أحالت حكومة الرئيسة كريستينا فرنانديز إلى البرلمان مشروع قانون بتحديد نسبة ٢٠ في المئة كحد أقصى لامتلاك الأجانب للأراضي الوطنية، وعدم السماح لهم بشراء أكثر من ١٠٠٠ هكتار في المناطق الإنتاجية. لكنها لا تقيد مشاركة رؤوس الأموال الأجنبية في استثمارات شراء الأراضي كما هو الحال في البرازيل.

وفي أوروغواي كشف إحصاء جرى في عام ٢٠٠٠ أن ١٧ في المئة من أراضي أوروغواي كانت بالفعل في يد رؤوس أموال أجنبية، ويقدر حالياً بما بين ٢٠ و ٣٠ في المئة من الأراضي الصالحة للزراعة في البلاد، حيث تم بيع أكثر ستة ملايين هكتاراً من الأراضي حسبما أفادت وزارة الثروة الحيوانية والزراعة والثروة السمكية.

■ ■

الغذائية أو استغلالها كأداة للمضاربة التجارية. وأقرت البرازيل بالفعل قاعدة للحد من تملك الشركات الأجنبية وكذلك الشركات البرازيلية ذات رأس المال الأجنبي لأراضيها، في حين تدرس الأرجنتين وأوروغواي حزمة من التدابير في هذا الاتجاه.

وانطلق ناقوس التحذير من تزايد عمليات شراء الأراضي في هذه البلدان في السنوات الأخيرة، نتيجة لارتفاع أسعار المواد الغذائية الدولية ونقص الاستثمارات المالية البديلة في وقت حذرت فيه دراسة لعام ٢٠٠٨ أجرتها منظمة «غراين» (الحبوب) غير الحكومية الدولية الناشطة لصالح الفلاحين وصغار المزارعين، من ظاهرة شراء الأجانب للأراضي الزراعية.

وأفادت أن الصين، ومصر، واليابان، وكوريا الجنوبية، والمملكة السعودية، والهند، والبحرين، والكويت، وعمان، وقطر، والإمارات العربية المتحدة، تأتي ضمن كبار مشتري أو مستأجري الأراضي الخصبة في دول لا يتوفر الطعام فيها دائماً.

حذر الرئيس الروسي ديمتري مدفيديف الأربعاء من أن بلاده يمكن أن تتسحب من معاهدة نزع الأسلحة الموقعة حديثاً مع الولايات المتحدة ما يندرج بالعودة إلى الحرب الباردة في حال عدم التوصل إلى اتفاق بين البلدين حول الدرع الأمريكية المضادة للصواريخ.

وصرح مدفيديف أمام صحافيين في موسكو أن قرار الولايات المتحدة المضي قدماً في الدرع الصاروخية رغم اعتراض روسيا سيرغم موسكو على اتخاذ إجراءات مؤاتية للرد وهو ما لا تحبذ القيام به».

وأضاف «سننتقل عندها إلى الحديث حول تطوير الجانب الهجومي لقدراتنا

يشهد عدد من دول أمريكا الجنوبية موجة استيلاء شركات ودول أجنبية - من بينها مصر والسعودية والبحرين والكويت وقطر - على مساحات شاسعة من أراضيها الزراعية الصالحة لإنتاج الأغذية.

وفي محاولة للحد من ذلك شرعت حكومات الأرجنتين والبرازيل والأوروغواي، الشريكة في السوق المشتركة للجنوب (ميركوسور)، بإعداد قوانين وقواعد تهدف لكبح الطامع الخارجية في استغلال أراضيها الزراعية بموجب عقود شراء أو استئجار.

غير أن هذه البلدان الثلاثة لا تعترم رفض الشراء أو الاستثمار المالي الأجنبي لأراضيها من حيث المبدأ، ولا تنظر في وضع قواعد محددة بشأن كيفية استخدام الأراضي أو استعراض الصفقات التي عقدت حتى الآن، بل تقتصر التدابير على وضع سلسلة من القيود على زحف الدول والشركات الأجنبية على الأراضي الزراعية بموجب صفقات تضمن لها تأمين أسواقها

## لماذا أجل آلان جوبيه زيارته للأراضي الفلسطينية و«إسرائيل»؟



◀ فضال حمادة

يبدو أن ما قاله وزير الدفاع الفرنسي الأسبق في حكومة نيكولا ساركوزي الأولى (هيرفي موران) في كتابه الذي نزلت أولى نسخه (مؤخراً)، وتحدث فيه عن ساركوزي الذي يتخذ المواقف السياسية ارتجالاً، يبدو هذا الكلام صحيحاً وينطبق على ساركوزي ووزير خارجيته (آلان جوبيه). فالقرار بذهاب وزير الخارجية الفرنسية إلى الأراضي المحتلة و«إسرائيل» اتخذ في زحمة الاندفاع الفرنسي في ليبيا وسورية دون الاستناد لأية معطيات ووزن حقيقي، اللهم الظهور أمام الرأي العام الفرنسي والعالمى بمظهر الذي يتحرك في كل مكان.

غير أن ساعة الحقيقة عندما تدق تظهر العيوب والعورات، وهذا ما حصل تماماً عندما حانت ساعة الرحلة الشرق أوسطية لوزير الخارجية الفرنسي، لتعلن الوزارة تأجيل الزيارة. غير أن مشروعهما لم يزل قيد التحضير.

لماذا تراجع ساركوزي وجوبيه عن الزيارة؟

يتردد في الأوساط السياسية الفرنسية أن الزيارة المؤجلة كانت في حكم المغيبة منذ نهار الثلاثاء الماضي العاشر من هذا الشهر. وترجع هذه الأوساط هذا الإنعفاء إلى الاجتماع الثلاثي في قصر الإليزيه والذي ضم كلا من الرئيس الفرنسي (نيكولاي ساركوزي) ورئيس الوزراء وزير خارجية قطر (حمد بن جاسم آل ثاني) ورئيس الوزراء الإسرائيلي (بنيامين نتنياهو)، حيث عجز الوزير القطري والرئيس الفرنسي عن إقناع نتياهو بقبول مشروع سلام يقوم على إنشاء دولة فلسطينية بشكل سريع، على أن يتم كل شيء قبل نهاية صيف ٢٠١١. وتقول هذه الأوساط إن حمد بن جاسم شرح لنتياهو محاسن «الربيع العربي» على أمن إسرائيل خصوصاً وأن إيران اليوم تبدو في حالة دفاعية بعد التدخل العسكري السعودي في البحرين، وبعد بدء عملية تغيير النظام في سورية على الطريقة المصرية والتونسية، وهذا ما سوف يضعف حزب الله وإيران ويصب في مصلحة أمن إسرائيل».

كما ردد الرئيس الفرنسي على مسامع نتياهو أن الديمقراطية في العالم العربي سوف تسعى للسلام مع «إسرائيل»، غير أن الناس لا بد أنهم سيسألون عن الدولة الفلسطينية لذلك يجب الإسراع وعدم التأجيل لأن الوقت ملح والدول الأوروبية سوف تعترف بدولة فلسطينية وأخر الصيف الحالي».

## خليجي ٢٠١١..

يسارع عربان الخليج إلى التماسك فيما بينهم ليستمر محورهم المعتدل صيفاً وشتاءً والمثلث برياح ثوار البحرين. يجتمعون ليبحثوا تبني مدجّين جدد في محورهم المعتل برباط اقتصادي وسياسي.. وأخيراً أعلنوا أن النشامى في الأردن يمكن أن يكونوا خليجيين، وأن تكون أردنهم دولة خليجية على الرغم من وقوعها على خليج العقبة وليس على الخليج العربي، فالجغرافيا لا يمكن أن تقف ضد مصالح أمريكا. كما يتسارعون أيضاً لضم المغرب، ربما رغماً عن أنف ملكه، وليس لوقوعه على الخليج العربي، بل لأن وقوعه في عواصف الثورة العربية يربع بممالك الاعتلال. ربما سيأتي اليوم الذي يطلب فيه عربان الخليج من سورية والعراق ولبنان وفلسطين الانضمام إلى حلفهم المعتل، فالثورة تتدحرج.. والعربان «وراهنا ووراهنا»..

■ ■

■ ■

# الشعب يريد تحرير فلسطين



◀ محمد العبد الله

أحيا الفلسطينيون ذكرى احتلال وطنهم وكتبتهم هذا العام، بفعاليات، تجاوزت الأشكال التقليدية- الخطابات والمهرجانات- المعادة في مثل هذه المناسبات، خاصة في مناطق اللجوء. لأن الشعب الفلسطيني ومعه الأمة العربية، قرآن تكون النشاطات الشعبية الفلسطينية، متغاممة مع الحراك الواسع الذي أحدثته نضالات أبناء الأمة في أكثر من قطر، داخل ذات الفضاء، الذي تنفست فيه الجماهير العربية، نسيم الحرية، واستطاعت بتضحيات كبيرة، أن تسترد كرامتها الوطنية/ الإنسانية من قبضات عصابات الفساد والنهب العام والتبعية للعدو الإمبريالي/ الصهيوني.

استطاع الشعب العربي الفلسطيني في تحضيراته لإحياء هذه الذكرى، أن يؤكد على أهمية النضال من أجل تحقيق أهدافه الوطنية العامة، من خلال العمل على إعادة التشديد على أن الاحتلال لوطنه عام ١٩٤٨ هو جذر كل الكوارث التي لحقت بأبنائه «المذابح والتطهير العرقي، التهجير واللجوء، مصادرة الأراضي، مسح أكثر من خمسمائة مدينة وبلدة عن الوجود، إصدار قوانين عنصرية/ فاشية للتعامل مع أصحاب الأرض الذين تشبثوا بوطنهم ووجودهم». ولهذا أحيا أبناء شعبنا هذه الذكرى «النكبة» في مواجهة احتفالات المحتلين المستعمرين بيوم «الاستقلال» بمزيد من الإصرار على التمسك بحقوقهم، كما أعلنتها مهرجانات ومظاهرات أهلنا داخل الجزء المحتل منذ عام ١٩٤٨، وفي عملية الدهس التي نفذها أحد أبناء بلدة «كفر قاسم» بسيارته في أحد شوارع مدينة تل الربيع «تل أبيب»، مما أدى لقتل وإصابة العديد من الغزاة الصهيانية.

داخل الضفة الفلسطينية وغزة وبلدان اللجوء والمنافي، تركز الحراك الشعبي الواسع على شعار واحد وهدف محدد، صدحت به حناجر مئات الآلاف وهي تردد «الشعب يريد العودة لفلسطين... الشعب يريد تحرير فلسطين». في المواجهات الأولى التي أحيا فيها أبناء الشعب الفلسطيني هذه الذكرى، سقط الشهيد الأول «ميلاد عياش» في محيط مدينة القدس المحتلة، بالرصاص الصهيوني. ولتتزامن معها حمى المواجهات داخل المدن والقرى في الضفة، وعلى حدود قطاع غزة المتاخمة للأراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨. ولتشهد المعابر العسكرية الصهيونية أعنف الاشتباكات، التي ترافقت مع وحشية القمع الذي حال دون وصول الفلسطينيين لداخل الوطن. سقط

## حول المصالحة الوطنية الفلسطينية واستحقاقات المرحلة

◀ سلام الشريف

تأتي المصالحة الفلسطينية في سياق تصاعد الحراك الجماهيري واتساعه في المنطقة العربية، وإذا كانت المصالحة وما تزال مطلباً وطنياً ملحاً، وبالأخذ بعين الاعتبار اتفاق المصالحة بشكله الحالي والنقاشات الدائرة حوله التي ما زالت محصورة بالتحضير لانتخابات السلطة التشريعية والرئاسية وتشكيل حكومة «الوحدة» الوطنية و«مصالحة» أجهزة أوسلو في غزة والضفة، وتحديد الأمانة منها، وبالعودة إلى طابع الخلاف الذي جرى بين قيادة فتح المتمثلة بفريق أوسلو وحركة حماس- هذا الخلاف الذي لم يكن «خناقة ولاذ» وإنما خلاف بين خطين متضادين على طول الخط، فإن التساؤل حول عمق هذه المصالحة وقابليتها للاستمرار تعدو مشروعة لا بل ضرورية.

للإجابة عن هذا التساؤل لا بد من الأخذ بعين الاعتبار اللحظة التي جرى فيها هذا الاتفاق بالنسبة للفريقين

وبالنسبة للإستراتيجيتينكليهما .

بالنسبة لفريق أوسلو أتى هذا الاتفاق بعد أن وصلت عملية التفاوض المهينة لأفق مسدود (رغم أن هذا الخيار مسدود الأفق تاريخياً منذ ولادته) بسبب التعتن الإسرائيلي رغم التنازلات الشهية والسخية من فريق أوسلو والتي تجاوزت كل الخطوط الحمر، وما تبعه من لجوء فريق أوسلو للضغط على الكيان وإعادته لطاولة المفاوضات مع تقديم قليل من التنازلات، من خلال نزع الاعتراف بدولة فلسطينية على أراض ٦٧، دولة فلسطينية دون أي مقومات، اعتراف دولي دون أي تغيير للملامح الاحتلال على الأرض. في هذا السياق يغدو التشكيل بصدق نوايا فريق السلطة في هذه المصالحة مشروعاُ جداً إذ قد تشكل المصالحة مع حماس مجرد إحدى أدوات الضغط على الكيان الصهيوني من أجل «ترتيب» تعنتها وصلفها . شرعية هذا التشكيك تزداد بعد متابعة تصريحات عباس عقب هذا الاتفاق، التي ما انفك من خلالها التأكيد على التفريط بثوابت النضال الوطني الفلسطيني، وأخرها تصريحه عشية ذكرى لنكبة، بأن العودة تتحقق عند الرجوع لأي جزء من أجزاء الوطن.

وإذا كان الخطاب الانتهازي الذي يساوي عباس، عباس الهوان والتفريط بالتوابت، بحماس غزة المحاصرة فإن هذا لا يمنع من طرح التساؤلات حول توقيت الاتفاق بالنسبة لحماس... لقد خلت الحركة سلطة أوسلو بعد انتخابات ٢٠٠٦ بعد أن كانت واحدة من فصائل المقاومة الأساسية والتي شكل دخولها للسلطة مأزقاً حقيقياً لها ولزخم المقاومة، فلقد عانت ومعها الشعب الفلسطيني من عملية حصار دولي ممنهجة كان ذروتها عدوان غزة وما تبعه من حصار لمعاقبة الشعب الفلسطيني وفصائله المقاومة على تبنيها لهذا الخيار ومحاولة تطويعهما . وهنا نجد نفسنا إزاء فرضيتين حول دوافع توقيع اتفاق المصالحة بشكله الحالي، فإما أن توقيعه من قبل حماس يشكل تكتيك من أجل تخفيف عزلتها وحصار الشعب الفلسطيني في غزة، هذا التكتيك تتحدد مدى مشروعيته بمدى الإصرار على خيار المقاومة وتحرير فلسطين، وإما

الشهداء في غزة، وسالت دماء المئات من الجرحى في الضفة والقطاع الصامد . واعتقلت قوات المستعربين الفاشية عشرات الشباب في أكثر من منطقة بالضفة الفلسطينية المحتلة .

لكن الحدث الأبرز كان على حدود التماس في جنوب لبنان والجولان المحتل. عشرات الآلاف من الفلسطينيين واللبنانيين تجمعوا قرب الحدود، لتشهد بلدة «مارون الراس» الواقعة على تخوم الجليل المحتل، بدلائنها الرمزية- صمود مقاتليها الأسطوري أثناء عدوان ٢٠٠٦ عنفوان التحدي العربي في مواجهة رصاص المحتلين. سقط أحد عشر شهيداً والمئات من الجرحى، في أثناء تصدي جيش الكيان الغاصب لعشرات الآلاف المتجهين نحو فلسطين.

على مشارف الجولان المحتل، تجمع أكثر من أربعة آلاف مواطن فلسطيني مع إخوانهم السوريين، في إطلالة على الأفق البعيد، على الوطن المحتل. لم تستطع تلك الجموع أن تكتفي برؤية الأرض، بل اندفع المئات منهم نحو الجولان، غير عابئين بالألغام المزروعة والأسلاك الشائكة، التي أدمت أجساد العشرات منهم. لم يكتف شباب هذا الجيل الغاضب، التواق للحرية والكرامة، بأن يدق الجدران- كما قال شهيد الأمة، الأديب غسان كنفاني- بل حطم الحدود، بجدرانها وأسلاكها، كما كتب أحد الصهاينة في

مقال عنوانه «لم يبق حدود»، سقط ثلاثة شهداء في «تسونامي العودة»- العدد مرشح للزيادة نتيجة خطورة إصابات بعض الجرحى. وسيكتب التاريخ في صفحات مضيئة عن الاستبسال الاستثنائي الذي سطره أولئك الشبان، الشهداء والأحياء، الذين واجهوا الجيش المدجج بالسلاح، واستطاعوا معانقة إخوانهم في «مجدل شمس» المتآلفة في شموخها القومي والوطني.

إن دلالات هذا الحراك الشعبي الواسع، بمضامينه وأهدافه، ستشكل علامة بارزة في مسار الكفاح الوطني الفلسطيني، خاصة في ظل التطورات التي تعيشها القوى السياسية والاجتماعية الفلسطينية. ويمكن قراءة أبرز هذه الدلالات:

❖أكدت الشعارات التي رفعها المبادرون والمنضون في هذه الاندفاعات الشعبية، أن الوطن لديهم هو فلسطين، كل فلسطين. وأن العودة للوطن، تعني وبالتحديد، أن تكون إلى مدن وبلدات وقرى الآباء والأجداد . وهي بهذا المضمون، نقيض ما تحدث به «محمود عباس» يوم السبت ١٤/٥ قبل ساعات من سقوط الشهداء، خلال لقائه المشاركين في مؤتمر الملتقى التربوي التقائي الفلسطيني الرابع المنعقد في رام الله المحتلة، «القيادة الفلسطينية لن تفرط أبداً بحق العودة، وذلك من خلال القيام بالخطوات العملية، والعودة إلى أرض الوطن لإنهاء

حياة الشتات، لأن الوطن هو وجهتنا الأخيرة»، مضيفاً «العودة ممارسة وليست شعاراً، فلسطين لنا، ومن كان من الشمال أو الوسط أو الجنوب، وسكن في أي مكان فيها، هو بالتالي في الوطن». لقد مارس الشعب الفلسطيني حقه بالعودة، وقام بواجبه من أجل تنفيذ حلمه بالوصول للوطن، كما جسده شباب العودة في انفضاضتهم المحيدة. وهذا ما حققه «حسن حجازي» الذي تمكن من دخول مجدل شمس، ومن ثم الوصول لمدينة الآباء والأجداد «يافا» .

❖أعدت التحركات تحديد بوصلة الاتجاه إلى فلسطين، وذلك من أجل تطوير/ تنوير برنامج العمل السياسي/ الكفاحي للقوى السياسية والاجتماعية. وهي بهذا المضمون أعادت الاعتبار لنهج التحرير، الذي يحاول البعض الانتقاف عليه، من خلال القبول بدولة بالضفة والقطاع والقدس الشرقية- التبشير بالأوهام والسراب- عن طريق المفاوضات، والتكرار لمصطلحات خادعة ومضللة كما في مقولة «جناحي الوطن... الضفة والقطاع» .

❖كشفت أجساد الشباب الدائمة، التي تخطت الأسلاك وعربات الجنود، هشاشة البنى الاستخبارية العسكرية لدى العدو، ودرجة الإرباك التي تسود صفوف مؤسساته. وهذا ماعبّر عنه «يوسي يهوشع» في مقال بصحيفة يديعوت أحرنوت في اليوم الثاني ١٦/٥ بقوله «أسقطوا مئات أمتار السياج وتسלلوا إلى إسرائيل دون عراقيل. كان يكفي للمرء أن يرى أمس في مجدل شمس ضباط الاستخبارات الذين تجولوا مطأطيئ الرأس كي يفهم حجم القصور» .

❖أعدت التحركات التي شهدتها الأقطار العربية«المغرب، تونس والبحرين» ودول الطوق، قومية المواجهة مع العدو، بتأكيدھا على مركزية القضية الفلسطينية لدى الجماهير العربية التي تحركت نحو الحدود المصرية الفلسطينية، والتي تتجمع كل يوم في ميدان التحرير بالقاهرة، وميادين عمان وغور الأردن في الكرامة. بالإضافة للتطورات البارزة على الحدود السورية واللبنانية المتاخمة للكيان الغاصب.

الآن، وبعد أن ووري جثمان الشهداء الثرى، ليس المطلوب فقط رعاية عائلاتهم، ومعاودة الجرحى وتأمين مستلزمات علاجهم، وضمان مستقبلهم، بل إن ما فرضته نتائج الأيام الأخيرة، يتطلب وقفة نقدية، موضوعية، تستلهم الدروس من هذه التحركات، بهدف ديمومتها، والحفاظ على ديناميتها، بعيداً عن منطق المصادرة، والإنابة، والوصاية.

## مسيرات العودة معادلة جديدة.. الأردن نموذجاً

◀ محمد أبو حجر

تمثل الحالة الأردنية نموذجاً مكثفاً بشدة لقضية شائكة تعاشها المنطقة منذ النكبة وسلخ فلسطين عن محيطها، وطرد سكانها وأصحابها الحقيقيين من أرضهم لينتفروا في شتات اللجوء، ويتفق على تسميتهم باللاجئين الفلسطينيين.

وللتعمق في الحالة الأردنية فلا بد من ذكر حقيقة أن الشعب الأردني يتشكل أساساً من كتلتين أساسيتين، الأولى تشكل المواطنين الأردنيين من أصول شرق أردنية«الأردن الإدارية اليوم»، والكتلة الثانية تشكل المواطنين من أصول فلسطينية ممن قدموا إلى الأردن بعد النكبة والنكسة، وهم في القانون الأردني مواطنون أردنيون، يتمتعون بكافة الحقوق المدنية والسياسية، وليس من المخفي أن انقساماً أفقياً يتنازع الشعب الأردني بثنائيه وهمية هي «فلسطيني-أردني» عملت النخب الاقتصادية والسياسية الحاكمة على تغذيتها دائماً بما يكفي لإجهاض أي حراك داخلي أردني على مدى التاريخ، وقد ظهرت هذه الثنائية للعلن للمرة الأولى بعد أحداث أيلول الأسود عام ١٩٧٠، حيث قامت السلطات الأردنية بتصفية كتائب المقاومة الفلسطينية في الأردن، بحجة الخطر من مشروع الوطن البديل، الذي روجت له السلطات معتمدة على مجموعة من أخطاء فصائل المقاومة الفلسطينية، ومنذ ذلك الحين وحتى هذه اللحظة، فإن هذه الثنائية تظهر للعلن بقوة أو تخفت حسب الظروف السياسية في البلد، وبرغبة من النخبة الحاكمة. وجاءت هذه الثنائية حلاً ناجحاً في أيدي الأجهزة الأمنية لإجهاض الحراك الشعبي الأردني الذي بدأ بيوم غضب دعت له شخصيات وقوى سياسية أردنية، ومن ثم وعلى مرور أيام الجمعة مضى الحراك متعاطماً، حتى مساء الرابع والعشرين من آذار حيث دعت تلك القوى لاعتصام مفتوح في أحد أهم ميادين العاصمة حتى تحقيق مطالبهم، وهنا كانت اللحظة المناسبة للأجهزة الأمنية كي تتدخل وتفرق الاعتصام بالقوة وبالبلطجة، ولتبرير الاستخدام المطلق للنفذ وسقوط شهداء، راحت الأجهزة الأمنية تروج لإشاعة مفادها أن المعتصمين هم من الكتلة الفلسطينية وأن الاعتصام ما هو إلا خطوة أولى لتحقيق مشروع الوطن البديل عن فلسطين في الأردن.

ولكن ماذا عن المشروع الفلسطيني؟

جاء يوم النكبة هذا العام، على وقع دعوات أطلقها نشطاء فلسطينيون تدعو لمسيرات عودة فلسطينية في تلك الذكرى الأليمة، وهنا جاءت فرصة اللاجئ الفلسطيني في الأردن ليعبر عن مشروعه بكل وضوح، قالها في ذكرى النكبة، إن مشروعه هو العودة لفلسطين وليس يحلم بأي مشروع بديل، قال إنه جزء من هذا الشعب الفلسطيني الذي يمتد على الداخل والخارج وعلى مخيمات الشتات أينما وجدت، فوجئ الفلسطيني في الأردن وهو على طريق عودته نحو أرضه، بنفس الجهاز الأمني الذي أجهض حلم الشباب الوطني الأردني بالتغيير في ٢٤ آذار، يقف سداً مريعاً في وجه عودته لأرضه، وبدء تحقيقه لمشروعه.

وللحقيقة فليس من السهولة أن يحدد المرء ما الذي تبتغيه الأجهزة الأمنية من اللاجئ فهو يضرب، ويضرب به مشروع الإصلاح.

لكنه وفي مسيرات العودة فقد أكد الشعب الفلسطيني وإن لم يقلها، أن هدفه واضح ومشروعه أوضح، العودة إلى فلسطين كل فلسطين، وعلى هذا فإن أي حديث عن مشاريع أخرى له، لا يعدو كونه مطية تركبها النخب الحاكمة لتحقيق مشاريعها الخاصة داخلياً، وأولها إجهاض أي مشروع للإصلاح أو التغيير الحقيقي في دولها، لذا فما قاله الفلسطيني في الأردن وغيرها في ١٥ أيار: رجاء لا يستعملن أحد وجودي حجة لإجهاض التطور الطبيعي للشعوب ورغبيتها في نيل حريتها، فكل ما أبتغيه هو نيل حريتي أنا الآخر والعودة لأرضي.



انجازها من خلال«تبويس للحى» بين قوى المقاومة وقوى الهوان المتمثلة بفريق أوسلو وإنما من خلال«كسر العظم»، كون الخلاف القائم ليس خلاف وجهات نظر أو مقاربات، وإنما هو اختلاف مصالح بين ثلثة من الفاسدين الذين نهبوا أموال الثورة وترعروعا في حضن أوسلو وارتبطت مصالحهم مع الكيان الصهيوني عضواً، وبين أغلبية الشعب الفلسطيني الذي لم تهتز حالة الإجماع التاريخية يوماً لديه حول خيار المقاومة كخيار أساسي نحو استعادة الحقوق... وهنا يرتدي تحقيق أوسع تحالف بين فصائل المقاومة وقوى الشعب الفلسطيني أهمية كبرى لتحقيق هذه المهمة. بهذا السياق يجب فضح الخطاب الانتهازي الذي يساوي عباس بحماس، رغم كل الأخطاء التي ارتكبتها حماس منذ دخولها للسلطة إلى فهمها لفصائل المقاومة وممارساتها السلطوية في غزة، لأن هذا الخطاب من شأنه أن يساهم بتعزيز الاصطفافات الخاطئة، بدل أن يسعى لتكوين أوسع تحالف للقضاء على نهج أوسلو، فالتناقض الأساسي اليوم بين القوى الفلسطينية هو على أساس الموقف من المقاومة والثوابت الفلسطينية.

#### مهمة تاريخية

لا نبالغ إذ نقول بأن تحقيق هذه المهمة يشكل مسؤولية تاريخية يعنق القوى الفلسطينية تجاه المنطقة، في سياق محاولات الخارج الأمريكي والأوروبي الحثيثة امتطاء الحراك الشعبي بالمنطقة وأخذہ باتجاهات تحافظ على مصالحهم لا بل تعززها، بالإضافة إلى المقاومة العالية للأنظمة التي تستمر بمحاولاتها للالتفاف على مطالب الجماهير، بالأخذ بعين الاعتبار مركزية القضية الفلسطينية وحضورها في هذه الثورات، حيث أنها تشكل ورقة عباد الشمس ووسيلة لقياس منسوب وطنية أي نظام أو قوة سياسية، لذلك يجب الانتقال من موقع المنفعل مع هذا الحراك والمنفع منه إلى موقع الفعل ودفعه للأمام من خلال استعادة المشروع الوطني الفلسطيني ووضع دول المحيط أمام استحقاقاتها وإفحامها باتماتحانات وطنية ستسرع من عملية الفرز بين القوى الرجعية والقوى التقدميةالتحررية.

## الشعب يريد سحب الاعتراف «بدولة إسرائيل»



فلسطين ضرب مصر وثورتها في ١٩٥٦، ١٩٦٧ ثم إخضاعها لعلاقات وأوضاع التخلف والتبعية للقوى الاستعمارية.

لنجدل من اندفاع طلائع شعوبنا العربية في مسيرات باتجاه فلسطين مع حلول الذكرى الأليمة لاحتلالها بداية انطلاقا جديدة على طريق التمسك الحازم بحق الشعب الفلسطيني في المقاومة والتحرير وإقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية المستقلة على كامل أرض فلسطين التاريخية، ونبد ومحاصرة سراديب التفاوض و«التسوية» السياسية التي مكنت العدو الصهيوني من ابتلاع فلسطين وتهديد وإخضاع مصر والدول العربية، ورفض الاعتراف بشرعية «دولة إسرائيل» واعداد بلادنا لإلغاء اتفاقيات الذل والعار في كامب ديفيد.

١٣ مايو ٢٠١١

اللجنة المصرية المناهضة للاستعمار والصهيونية

تأتي الذكرى الثالثة والسوتون لجريمة احتلال فلسطين هذا العام وقد فتحت ثورة ٢٥ يناير أمام الشعب المصري الأفاق لاستعادة الطريق الصحيح لمواجهة هذه الجريمة وارتباطها بكامل المشروع الاستعماري المرشح ضده وضد الشعوب العربية وتطلعها للتحرر والتقدم والديمقراطية. فالنظام السياسي الذي استطاع شعبنا إسقاط رأسه (مبارك) حتى الآن مثل أهم أعمدة سياسات التبعية والعمالة والخضوع للعدو الأمريكي- الصهيوني في منطقتنا، وهي السياسات التي أقرت شعبنا واستعبده، وأهدرت استقلال بلادنا وكرامتها الوطنية، ومكنت للعداوة الاستعمارية الصهيونية المسمومة من تشويه حقائق الصراع العربي- الاستعماري الصهيوني، وحاولت إشاعة اليأس لقبول أمر واقع احتلال الكيان الصهيوني للقيط لفلسطين وهم تفوقه الدائم فضلا عن تسميم العلاقات بين شعبنا والشعب الفلسطيني البطل.

واللجنة المصرية المناهضة للاستعمار والصهيونية، وهي تحيي شعبنا العظيم ونهوضه وصحوته ونضاله من أجل استكمال ثورته نحو تغيير النظام لبناء نظام بديل وطني ديمقراطي يضع في مقدمة أولوياته تحرير بلادنا من التبعية السياسية والعسكرية والاقتصادية للقوى الاستعمارية والخضوع للكيان الصهيوني كشرط ضروري مسبق لإقامة نظام ديمقراطي حقيقي يوفر حياة كريمة للشعب، فإنها تشدد على إعادة تأكيد الحقائق الأساسية الآتية:

١- المشروع الصهيوني باحتلال فلسطين وزرع دولة يهودية عنصرية استيطانية عدوانية توسعية على أرضها في قلب العالم العربي هو جزء عضوي من المشروع الاستعماري الأوربي الأمريكي للسيطرة على الشعوب العربية وثرواتها ومقداراتها، لتمثل قاعدة عسكرية متقدمة له

## تحول لافت في المشهد الليبي

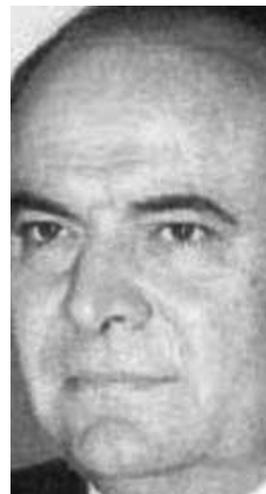
### الوطني الانتقالي: سنمثل ليبيا في أوبك..!

أكد مسؤول الإعلام في المجلس الوطني الانتقالي محمود شمام يوم الأربعاء ١٨/٥/٢٠١١ أن المجلس يريد أن يمثل ليبيا في اجتماع منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) الشهر المقبل في فيينا. شمام، في تصريحاته لراديو «سوا» الأمريكي دون سواه، قال إن المجلس الوطني الانتقالي يريد مشاركة علي الترهوني مسؤول المالية والنفط في «المجلس» ممثلاً عن ليبيا في الاجتماع القادم لمنظمة الأوبك. وتابع شمام «إن هذا حق لنا وسنطالب به وستتحدث مع «شركائنا» في الأوبك حول هذا الأمر»، مشيراً إلى أن المجلس الانتقالي يريد المشاركة في رسم السياسة النفطية للأوبك لأننا من سيدير هذه السياسة في ليبيا التي تعد من الدول الرئيسية في المنظمة». وذكر شمام أن المجلس لا يعلم ما إذا كانت أوبك ستوجه دعوة للمجلس لكنه أكد أنه في حال وجود آلية قانونية للحضور «فسنشق طريقنا إلى الاجتماع حتى ولو لم توجه لنا دعوة»..

## إحالة وزير سابق وصهر مبارك للمحكمة



إبراهيم سليمان



مجدي راسخ

أحالت النيابة العامة في مصر وزير الإسكان السابق إبراهيم سليمان وأربعة من نوابه، ورجل الأعمال مجدي راسخ صهر الرئيس المخلوع حسني مبارك إلى محكمة الجنايات في تهم تتصل بالفساد. وطبقاً لقرار الاتهام- الذي أعدته نيابة الأموال العامة العليا برئاسة المستشار علي الهواري المحامي العام الأول للنياية- ينتظر أن يحاكم المتهمون في قضايا تتعلق بارتكاب جرائم التزوير والإضرار العمدي بالمال العام والاشتراف فيها، من خلال عمليات تخصيص وبيع أراضي الدولة. وحسب وكالات الأنباء التي أوردت الخبر فقد أشار المستشار السعيد إلى أن الأراض التي تتركز حولها الاتهامات مساحتها ٢٥٥ فدانا بمدينة الشيخ زايد، غير أن وزارة الإسكان اكتفت بسحب جزء منها مساحته ٨٥ فدانا فقط، مما جعل ربح رجل الأعمال مجدي راسخ والشركة التي يملكها يصل ٩٠٧.٧ ملايين جنيه، فضلاً عن التصريح له ببيع مساحة مليون متر من هذه الأرض للغير على خلاف القواعد، الأمر الذي جعله يربح مبلغاً مالياً آخر قدره ٨١ مليون جنيه (الجنيه المصري يعادل ٥.٩٥ دولارات تقريباً).

مهما كانت النتائج والتضحيات، ولم

## ليكن ٥ حزيران ٢٥ أيار.. سوري..!

◀ عبادة بوظو



باستثناء أصوات المتمترسين في الخارج استقواءً بالخارج على سورية الوطن والشعب، وعلى الرغم من استمرار الانشغال الداخلي بالاضطرابات المتواصلة والمتقلبة في بعض المدن والقرى السورية وما يرافقها من استمرار دوامة الدم السوري المراق في صفوف المدنيين والعسكريين وما يطفو على سطحها من أخبار كمانن وقصف وإغلاق مناطق وصور «نزوح»، تزيدها نبرات تهديد متصاعدة بموجات جديدة موسعة من العقوبات في الأوساط الأمريكية والأوروبية بحق كبار الشخصيات في النظام، وتغطي على إجراءات إصلاحية يرثيها النظام في سورية احتواء للموقف، وما ينتج عن ذلك كله من إبقاء الجمر تحت الرماد في الاصطفافات الخاطئة وحالات التوجس المستجدة في الشارع السوري المتمسك في

المقابل حتى العظم في غالبية المحافظات والمدن بحبه للحياة وطوقس مجرياتها الطبيعية... وسط هذه المتناقضات المتشابكة كلها، بالكاد لا يختلف اثنان أن أخبار الأحد، الخامس عشر من أيار، ذكرى النكبة، حول الحصار والاختراق الشبابي الشعبي العربي للأراضي المحتلة واشتياكها بالحجارة والصدور العارية مع جنود الاحتلال الإسرائيلي في الجولان ومارون الراس والضفة والقطاع، إلى جانب مثيلاتها التي لم تتجح تماماً في غور الأردن وسيناء، جاءت لتشكّل انفرجاً حقيقياً في المشهد العربي، السوري ضمناً، بعيد تصويب بوصلة الصراع في المنطقة وبلدانها، كما كنا نقول دائماً، باتجاه العدو الأساسي، وليعود الفرز والاصطفاف في سورية وطنياً، على اعتبار أنها المرة الأولى التي تتحرك فيها جبهة الجولان من الطرف المحرر، ولو شعبياً..!

السؤال الملح الذي برز مباشرة بعد هذا التطور الاستثنائي، وعلى لسان غالبية المحللين والمراقبين الفيوريين على القضية الوطنية الشعبية في سورية، هو هل سيبقى هذا التطور على استثنائيته، بالمعنى المناسب/ الكرنفالي؟ والسؤال الأهم، الذي نضيفه، أم أن هذا الإنجاز سيتحول إلى برنامج عمل وطني حقيقي وفعلي يشكل الرافعة الأساسية للتغيير الوطني، الاقتصادي الاجتماعي، الديمقراطي المنشود في سورية؟

إن حسم الإجابة على هذا السؤال، ضمن هذا التكامل، بالإيجاب، سيضع على رأس جدول الأعمال الوطني، وأي حوار مطروح، في سورية، قضية مؤجلة وأساسية هي تحرير الجولان، حتى وإن جادل البعض: «إن ذلك في حال حدوثه هو قفزة من الأمام من جانب النظام السوري لتصدير الأزمة والانتفاخ على المنتفضين في وجهه داخلياً..».

بغض النظر عن هؤلاء، ماذا يعني اندلاع حرب وطنية، مع الكيان الإسرائيلي بالنسبة للشعب السوري والقضايا التي شكلت منطلق حراكه؟

إن ذلك يعني بالملموس أن تحسم إلى غير رجعة على المدى البعيد مسألة الاقتتال الأهلي التي لا تزال تذكرها أبنوا الخارج والممارسات القاصرة في الداخل وتضع حداً لكل السيناريوهات المسربة عن إيجاد وتكريس بؤر توتر في شمال شرق ووسط وجنوب البلاد، لأن عملية الفرز والاصطفاف ستكون وطنية، وستتحدد فيها بشكل أوضح تداخل شبكات المصالح والتهديد.

وهذه العملية ستكون شاملة لا تقتصر على الموقف السياسي للأفراد والجماعات والتيارات والقوى، شعبياً وسياسياً، بل ستمتد طبيعياً لفرز هذه المكونات اقتصادياً- اجتماعياً، بما في ذلك نشاطها في وقت الحرب الوطنية، وتحديد مواقع ومواقف قوى النهب والفساد عند المنعطفات الكبرى.

وهذا العري سيلحق بدوره كل من يلعب الألعاب القذرة، أياً كان موقعه، بحق الوطن والشعب. وبكلام آخر، عندما تكون المعركة وطنية يصح مبرراً تماماً قمع وتصفية كل من يضرب بالشعب والجيش وبمقومات الأمن الوطني، وتتمظهر أكثر على سبيل المثال ضرورة ضرب كل المتلاعبين بالأمن الاقتصادي والغذائي وخلافه.

والأهم أنه في المعارك الوطنية تصح الاستحقاقات الوطنية أكثر إلحاحاً لأن غالبية الشعب والنظام ستضطر لخوض المعركة معاً بعيداً عن ماكينات التحريض والتشويش وسيجد أصحاب برامج الإصلاح في النظام أنفسهم مضطرين لترتيب وحسم أوضاعهم وأوضاع أجهزة الدولة على إحداثيات الصراع الخارجي مع المحتل الصهيوني في صراع الوجود لا الحدود.

إن حرباً تحريرية من هذه الشائكة ستكون تحررية شاملة بأن معاً، من شأنها إطلاق الطاقات الشبابية لدى الشعب السوري والشعوب العربية كلها، وأن تفضح أكثر فأكثر كل الأدوار السياسية والإعلامية الوقحة في المحيط الإقليمي، بما فيها أدوار تركيا وقطر والأردن والسعودية والتيار الحريري لبنانياً المتصلة حتى من أدنى بروتوكولات الاتفاقيات العديدة الموقعة مع الجانب السوري وكأنها كانت تنوي الارتباط بسورية للذراعها.

كما أن هذه الحرب بالمعنى الاستباقي جيوسياسياً سيكون من شأنها تسريع الفرز واستقرار الخيارات والمواقف حتى في مصر ما بعد الثورة، بحيث يسهم ذلك في حسم المعركة أكثر في مواجهة المشروع الأمريكي الصهيوني في المنطقة.

إن حالة اللاحسم بالمعنى الوطني الشامل تبقى الأوضاع استراتيجياً في سورية غير مريحة، وإن الخيارات بهذا المعنى تتناقض ولاسيما زمنياً في ظل استفحال الهجوم الغربي الشرس والمسنود إقليمياً. وفي المقابل إذا أراد المخلصون من أبناء سورية تاريخاً رمزياً لقلب الآية وإيجاد مخرج للوطن، فلدينا ذكرى نكسة حزيران تدق الأبواب، فإذا كانت ذكرى النكبة ٢٠١١ بروفة لفعل وطني منهجي وليس عابراً، فليكن الخامس من حزيران تمهيداً لمنظماً لفعل تحريري وطني على المستوى السوري تعادل نتائجه، مبدئياً، الخامس والعشرين من أيار، لبنانياً.

o.bozo@kassiou.org

## إضرابات طبية في السودان ومصر

على نحو متزامن تقريباً بدأ الأطباء في القطاعين الصحي السوداني والمصري يوم الثلاثاء ١٧/٥/٢٠١١ إضراباً عن العمل في جميع أنحاء بلديهما، الأول لمدة ثمان وأربعين ساعة، والثاني لمدة أربعة أيام. ويطالب الأطباء السودانيون بتحسين بيئة وشروط العمل، ولكن يستثنى من هذا الإضراب الأطباء العاملون في أقسام الطوارئ، ومراكز غسيل الكلى، والعناية المركزة.

وقال د. سيد فئات عضو اللجنة التنفيذية لاتحاد أطباء السودان إن خمسة آلاف طبيب سوداني هاجروا من السودان في غضون أقل من عام واحد. وأضاف بأن الإضراب يشمل قطاعات كبيرة من الأطباء في مختلف التخصصات والدرجات. وأشار د. فئات إلى أنه تم تجاهل مذكرة رفعها الأطباء للمجلس الأعلى للأجور، مؤكداً على أن الإضراب مطلب يحد ولا توجد خلفه دوافع سياسية. أما في مصر فقد أعلنت اللجنة العليا لإضراب الأطباء نجاحه بنسبة ٨٥٪ بمستشفيات وزارة الصحة على مستوى الجمهورية، مشيرة إلى أن النسبة بلغت في القاهرة ٧٥٪، وفي محافظات القناة ١٠٪، والغربية ٥٥٪، والدقهلية ٩٠٪، لافتة إلى أن الإضراب تم في أكثر من ٢٢٧ مستشفى في جميع أنحاء الجمهورية، وأكدت اللجنة استمرار

الإضراب بكافة العيادات الخارجية باستثناء أقسام الطوارئ والحالات الحرجة ومراكز الكلى والحضانات. وقالت اللجنة، خلال مؤتمر صحفي عقد بنقابة الأطباء ظهر الثلاثاء، إن تعليق أو إنهاء الإضراب مرتبط باستجابة الحكومة لكافة مطالب الأطباء التي تهدف إلى الارتقاء بالمنظومة الصحية للشعب.

وكشفت الدكتورة منى مينا منسق اللجنة العليا للإضراب عن تعرض الأطباء في المستشفيات لتهديدات من مسؤولي وزارة الصحة بإحالتهم إلى محاكمات عسكرية، بوقفهم عن العمل، بالإضافة إلى سعي بعض مديري المستشفيات لإجهاض الإضراب من خلال الاستعانة بأطباء الأسنان للكشف على المرضى، كما حدث في مستشفى «أم المصريين». وصف الدكتور أحمد حسين عضو اللجنة العليا للإضراب قيادات وزارة الصحة بالزبانية، خاصة بعد توزيع مدير إدارة الطب العلاجي لمنشورات على المستشفيات، تفيد بتهديد الأطباء بإحالتهم للتحقيق إذا ما شاركوا في الإضراب، ويأتي ذلك في الوقت الذي صرح فيه مدير الشؤون الصحية بالوزارة أنها لم تتلق أي شكاوى من المرضى بالمستشفيات في أول أيام الإضراب المفتوح للأطباء.

## الثورة المضادة في الشرق الأدنى..

# من هم آل السديري؟ وما دورهم بالأحداث الجارية اليوم؟

◀ تييري ميسان / شبكة فولتير

في بضعة أشهر، سقطت ثلاث حكومات موالية للغرب في العالم العربي، أسقط البرلمان حكومة سعد الحريري في لبنان، في حين طردت تحركات شعبية زين العابدين بن علي في تونس ثم اعتقلت حسني مبارك في مصر.
تترافق هذه التغيرات في النظام بمظاهرات ضد السيطرة الأمريكية والصهيونية. وهي تفيد سياسياً محور المقاومة الذي تجسده على مستوى الدول إيران وسورية، وفي المستوى الأدنى من الدول حزب الله وحماس.
لشن ثورة مضادة في هذه المنطقة، لجأت واشنطن وتل أبيب إلى أفضل دعائمتها؛ عشيرة السديري التي تجسد أكثر من أي شيء آخر الاستبداد في خدمة الامبريالية.

**عشيرة السديري**

ربما لم تسمعوا يوماً بآل السديري، لكنهم يشكّلون التنظيم السياسي الأغنى في العالم منذ عدة عقود.

آل السديري هم بين الأبناء السبعة للملك ابن سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، من الأميرة السديري (يبلغ عدد أبناء الملك ابن سعود ثلاثة وخمسين). كان زعيمهم الملك فهد الذي حكم من العام ١٩٨٢ إلى العام ٢٠٠٥. وبعد وفاته، أصبح عدهم ستة. الابن البكر هو الأمير سلطان، وزير الدفاع منذ العام ١٩٦٢، ويبلغ من العمر خمسة وثمانين عاماً. أما أصغرهم، فهو الأمير أحمد، مساعد وزير الداخلية منذ العام ١٩٧٥ ويبلغ الواحدة والسبعين من العمر. منذ الستينيات، عشيرتهم هي التي نظمت وهيكلت ومولت الأنظمة الدمى الموالية للغرب في الشرق الأوسط الموسع.

**هنا، لا بد من عودة إلى الماضي.**

المملكة العربية السعودية كيان قانوني أسسه البريطانيون أثناء الحرب العالمية الأولى لإضعاف الإمبراطورية العثمانية. وعلى الرغم من أن لورنس العرب قد تحدث عن مفهوم «الامة العربية»، لكنه لم يتوصّل أبداً إلى جعل هذا البلد أمة. ناهيك عن جعله دولة. لقد كان ولا يزال ملكاً خاصاً لآل سعود. ومثلما أظهره التحقيق القضائي البريطاني أثناء فضيحة اليمامة في القرن الواحد والعشرين، لا توجد بعد حسابات مصرفية ولا ميزانية للمملكة؛ حسابات العائلة الملكية هي التي تستخدم في إدارة ما يبقى حقل نفوذهم الخاص.

بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد أن خسرت المملكة المتحدة وسائل إمبريالياتها، انتقلت تلك المنطقة إلى السيادة الأمريكية. عقد الرئيس فرانكلين روزفلت اتفاقاً مع الملك ابن سعود تضمن بموجبه عائلة آل سعود تزويد الولايات المتحدة بالنفط، وفي المقابل، تضمن الولايات المتحدة المساعدة العسكرية الضرورية لإبقاء آل سعود في السلطة. يعرف هذا التحالف باسم اتفاق كوينسي لأنه جرى التفاوض عليه على متن باخرة بهذا الاسم. إنه اتفاق لا معاهدة، لأنه لا يربط دولتين، بل دولة وعائلة.

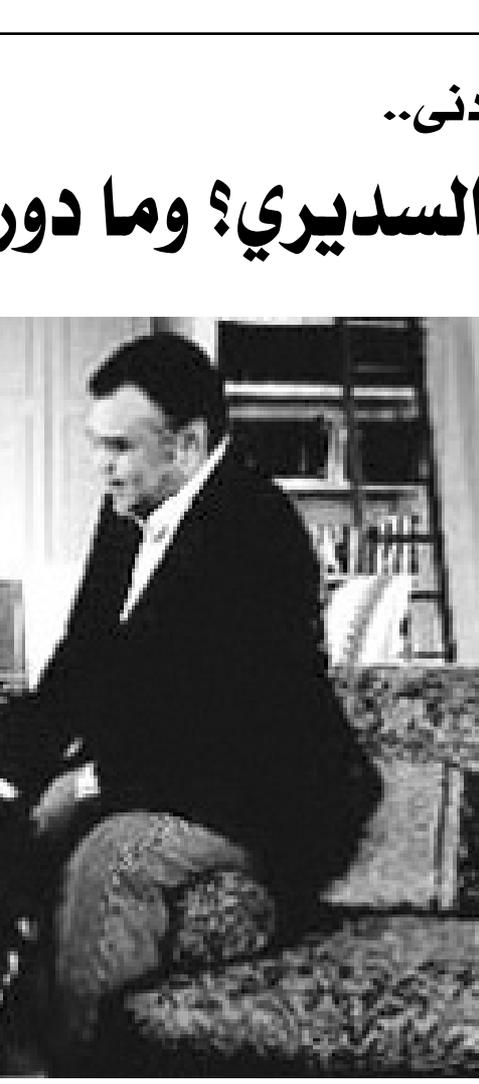
**اتفاق كوينسي يربط الولايات المتحدة بآل سعود**

بما أن الملك المؤسس ابن سعود تزوج باثنتين وثلاثين امرأة وأنجب ثلاثة وخمسين ابناً، سرعان ما ظهرت تناقضات خطيرة بين خلفاء محتملين. هكذا تقرر لاحقاً ألا ينتقل التاج من الأب إلى أحد أبنائه، بل من أخ غير شقيق إلى أخ غير شقيق.

صعد خمسة من أبناء ابن سعود إلى العرش حتى الآن. الملك الحالي، عبد الله الأول، وهو في السابعة والثمانين من العمر، رجل منفتح العقل نسبياً. على الرغم من أنه منفصل تماماً عن الوقائع المعاصرة. ولأنه قد وعى أن النظام السلالي الحالي يمضي إلى الهلاك، فهو يمتنى إصلاح قواعد التوريث. وبموجب الإصلاح، يعين مجلس المملكة. أي ممثلون لمختلف فروع العائلة الملكية. العاهل الذي يمكن أن يكون من جيل أكثر شباباً.

لا تناسب هذه الفكرة الحكيمة آل السديري. وبالفعل، نظراً لمختلف حالات التخلي عن العرش بسبب سوء الصحة أو الانغماس في اللذات، ينتمي المرشحون التاليون الثلاثة إلى العشيرة: الأمير سلطان - الذي تمّت تسميته - وزير الدفاع، ٨٥ عاماً؛ الأمير نايف، وزير الداخلية، ٧٨ عاماً، والأمير سلمان، حاكم الرياض، ٧٥ عاماً. وإذا طبقت القاعدة الجديدة، ستكون على حسابهم.ي

**آل السديري هم سبعة أشقاء من أبناء الملك ابن سعود مؤسس المملكة العربية السعودية من الأميرة السديري.. (يبلغ عدد أبناء الملك ابن سعود ثلاثة وخمسين). زعيمهم هو الملك فهد الذي حكم من العام ١٩٨٢ إلى العام ٢٠٠٥. ومنذ الستينيات، وعشيرتهم هي التي تنظّم وتهيكل وتمول الأنظمة الموالية للغرب في الشرق الأوسط الموسع.**



نفهم إذاً لماذا أصبح آل السديري، الذين لم يحبّوا أخاهم غير الشقيق يوماً، يكرهونه. نفهم أيضاً لماذا قرروا الانخراط بكلّ قواهم في المعركة الحالية.

**«السيد بندر بوش»**

في أواخر السبعينات، كان الأمير فهد يدير عشيرة السديري. وقد لاحظ الصفات النادرة لأحد أبناء أخيه سلطان: الأمير بندر. فأرسله ليفاوض على عقود تسلّح في واشنطن وقدّر عالياً الطريقة التي اشترى بها موافقة الرئيس كارتر.

حين تولّى فهد العرش في العام ١٩٨٢، جعل الأمير بندر موضع ثقته. عينه ملحقاً عسكرياً ثم سفيراً في واشنطن. وهو مركز احتله طيلة مدّة حكم فهد، إلى أن أقاله فجأة الملك عبد الله في العام ٢٠٠٥.

الأمير بندر هو ابن الأمير سلطان من أمة ليبية، وهو شخصية لامعة لا تتورع عن شيء. عرفت كيف تفرّض نفسها على العائلة الملكية على الرغم من أعمار المرتبط بكونه ابن أمة. وهو اليوم الذراع الفاعل في عشيرة السديري التي يديرها العجائز.

أثناء إقامة الأمير بندر الطويلة في واشنطن، أقام علاقة صداقة مع آل بوش، لاسيما جورج بوش الأب. إذ كانا متلازمين. وبحبّ جورج بوش الأب أن يقدمه بوصفه الابن الذي كان يتمنى أن يكون ابنه، إلى حدّ أنه يلقّب في العاصمة «السيد بندر بوش». وأكثر ما يقدره بوش الأب - الذي كان مديراً للسي أي إيه ثم رئيساً للولايات المتحدة - عند بندر هو حبه للعمل السري.

اندمج «السيد بندر بوش» في المجتمع المخملي الأمريكي. فهو مدير مدى الحياة لمعهد أسبن، وعضو في بوهيميان غروف. اكتشف الجمهور البريطاني وجوده أثناء فضيحة اليمامة: أكبر عقد تسلّح في التاريخ وكذلك أهم قضية فساد. أثناء عشرين عاماً تقريباً (١٩٨٥-٢٠٠٦)، باعت شركة بريتيش أيروسبيس، التي أطلقت عليها لاحقاً تسمية بي إيه إي سيستمز، أسلحة بقيمة ٨٠ مليار دولار للمملكة العربية السعودية ودفعت سراً جزءاً من هذه الصفقة في الحسابات المصرفية لسياسيين سعوديين وربما بريطانيين، منها مليارا دولار للأمير بندر وحده.

ذلك أن لسعداته نفقات كثيرة، فقد جنّد الأمير بندر لحسابه الخاص عدداً من المقاتلين العرب الذين أشارت إليهم الأجهزة السرية السعودية والباكستانية أثناء الحرب الباردة لمحاربة الجيش الأحمر في أفغانستان بناء على طلب المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات البريطانية. بطبيعة الحال، لم تكن الشخصية الأشهر في هذا الوسط سوى الملياردير المناهض للشيوعية الذي أصبح قائداً فكرياً جهادياً، أسامة بن لادن.

يستحيل أن نعرف بدقة كم عدد الرجال الذين يتأمرون بأمر الأمير بندر. فعلى مدى الزمن، نراه خلف العديد من النزاعات والأفعال الإرهابية في كلّ العالم الإسلامي، من المغرب إلى مقاطعة سينكيانغ الصينية. على سبيل المثال، نتذكّر الجيش الصغير الذي زرعه في مخيم فلسطيني لبناني، في نهر البارد، باسم فتح الإسلام. تمثّلت مهمّة أولئك المقاتلين في جعل اللاجئين الفلسطينيين، ومعظمهم من السنة، ينتفضون ويطالبون بإمارة مستقلة ويحاربون حزب الله الشيعي. لم تسر القضية كما ينبغي لأنّ روايت المرتزقة لم تدفع في وقتها. في المحصلة، تحصن رجال الأمير بندر في العام ٢٠٠٧ في المخيم. اضطرّ ثلاثون ألف فلسطيني إلى الهرب، في حين شنّ الجيش اللبناني معركة لمدة شهرين لاستعادة المخيم. قتل بسبب هذه العملية ٥٠ مرتزقاً و٢٢ مدنياً فلسطينياً و٨ جندياً لبنانياً.

**تحالف بندر – الحريري**

تحالف سعد الحريري، السعودي اللبناني، مع آل السديري. إنّه رئيس وزراء لبنان المستقبل، وهو يحاول منع تشكيل حكومة جديدة منذ ثلاثة أشهر، وفي هذه الأثناء، يصرف الأعمال في مطلع العام ٢٠١٠، حاول بندر إجراء انقلاب على الملك عبد الله ليضع محلّه على العرش أباه سلطان. اكتشفت المؤامرة وفقد بندر الحظوة، لكن دون أن يفقد ألقابه الرسمية. لكن في أواخر العام ٢٠١٠، وعلى أثر تدهور صحّة الملك وخضوعه لعدة



عمليات جراحية، استعاد آل السديري سلطتهم وفرضوا عودته بدعم من إدارة أوباما.

بعد أن زار رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري الملك في المستشفى في واشنطن، سرعان ما خلص إلى أنه يحتضر فتحالف مع آل السديري. سعد الحريري سعودي، ولد في الرياض، لكنّ لديه جنسية مزدوجة. نال ثروته من أبيه الذي كان يدين بكلّ شيء لآل سعود. هو إذاً يدين للملك وأصبح رئيساً لوزراء لبنان بطلبٍ حثيث منه، في حين كانت وزارة الخارجية الأمريكية تتساءل عن قدرته على شغل هذا المنصب.

أثناء المدّة التي كان يطيع فيها الملك عبد الله، تصالح مع الرئيس بشار الأسد. سحب الاتهامات التي وجهها تجاهه بصدد اغتيال أبيه، رفيق الحريري، وأسف لأنه خضع للتلاعب به بهدف خلق توتّر مصطنع بين لبنان وسورية. عبر تحالفه مع آل السديري، تغيّر سعد سياسياً. فبين عشية وضحاها، أنكر سياسة الملك عبد الله تجاه سورية وحزب الله القائمة على التهدئة وانطلق بهاجم نظام بشار الأسد وسلاح حزب الله وأخذ ينادي بالتسوية مع إسرائيل.

غير أن الملك عبد الله خرج من وضع شبه الغيبوبة ولم يتأخّر في المحاسبة. حين فقد سعد الحريري وحكومته هذا الدعم الضروري، أطاح بهما البرلمان اللبناني لصالح ملياردير آخر ثنائي الجنسية هو نجيب ميقاتي، الأقل نزوعاً للمغامرة. وعلى سبيل العقوبة، أطلق الملك عبد الله تحقيقاً ضريبياً بصدد الشركة السعودية الرئيسية لآل الحريري وأمر بتوقيف عدد من معاونيه بتهمة التهرب الضريبي.

**كتائب السديري**

قرّر آل السديري شنّ الثورة المضادة في كلّ الاتجاهات. ففى مصر حيث كانوا يمولون بيد آل مبارك وبالايد الأخرى الإخوان المسلمين، فرضوا تحالفاً بين الإخوان والضباط الموالين للولايات المتحدة. تقاسم هذا التحالف الجديد السلطة، مستعبداً زعماء الثورة في ميدان التحرير. وقد رفض استدعاء مجلس تأسيسي واكتفى بتعديل هامشيّ للدستور.

في المقام الأول، أعلن الإسلام دُنياً للدولة، على حساب الأقلية القبطية (نحو ١٠ بالمائة من السكان) التي قمعها حسني مبارك واحتشدت بالجملة ضده. فضلاً عن ذلك، دعا الدكتور محمد عزّت، الرجل الثاني في تنظيم الإخوان المسلمين، إلى فرض سريع للشريعة وإعادة العقوبات الإسلامية.

أمّا عصام العريان، الناطق باسم الإخوان المسلمين في مصر، فلم يركّز حملته الانتخابية على إلغاء اتفاقات كامب ديفيد، بل على تجريم المثلية الجنسية. وفق عصام العريان، وحتى إذا كان معظم السكان يقبلون هذه «الرذيلة»، ينبغي على الدولة الإسلامية أن تقمعها تبعاً للشريعة.

استطاع الداعية النجم من الإخوان المسلمين يوسف القرضاوي الذي عاد بعد ثلاثين عاماً من المنفى في قطر أن يتحدث مطوّلاً. أبرز القرضاوي نفسه، وهو الذي جرّده جمال عبد الناصر من جنسيته، بوصفه تحسيدا للعصر الجديد: عصر الشريعة والتعايش السلمي مع نظام تل أبيب الصهيوني.

أمّا محمد البرادعي، الحائز على جائزة نوبل للسلام والذي اختاره الإخوان المسلمون ناطقاً رسمياً أثناء الثورة ليقدموا عن أنفسهم صورة انفتاح، فقد اعتدى عليه هؤلاء الإخوان عينهم اعتداءً جسدياً أثناء الاستفتاء الدستوري وأزيح من المسرح السياسي.

أعلن الإخوان المسلمون دخولهم التام في الساحة السياسية مع خلق حزب جديد باسم حزب الحرية والعدالة، تدعمه هيئة تعزيز الديمقراطية ويقلد صورة حزب العدالة والتنمية التركي (اختاروا الاستراتيجية عينها في تونس مع حزب النهضة). في هذا السياق، ارتكبت أعمال عنف ضدّ الأقليات الدينية. هكذا حرقت كنيستان. لم يعاقب رئيس الوزراء المعتدين، بل قدّم لهم ضماناً إذ أقال المحافظ الذي عينه قبل فترة وجيزة في محافظة قنا، وهو الجنرال المحترم عماد ميكائيل... لأنه ليس مسلماً سنياً، بل مسيحي قبطي.

في ليبيا، أرسل آل السديري مقاتلين مسلّحين قبل أن يعطي



الفرنسيون والبريطانيون إشارة بدء التمرد على السلطة في طرابلس. وهم الذين ورّعوا الأسلحة والأعلام الحمراء والسوداء والخضراء ذات النجمة والهلال، رموز السلالة السنوسية التي حمت تاريخياً الإخوان المسلمين.

يتمثّل هدفهم في الخلاص من مثير القلاقل القذافي وإعادة الأمير محمد إلى عرش ما كان يدعى بالمملكة المتحدة الليبية.

**آل السديري والاحتجاجات الواسعة**

مجلس التعاون الخليجي هو أوّل من طلب تدخل مسلّحاً ضدّ حكومة طرابلس. وفي هذا المجلس، كان الوفد السعودي هو الذي قاد المناورات الدبلوماسية كي تدعم الجامعة العربية الهجوم الذي تشنّه الجيوش الغربية.

من جانبه، أكد العقيد القذافي في عدّة خطابات أنه لا توجد ثورة في ليبيا، بل إن بلاده تواجه عملية زعزعة للاستقرار تشنّها القاعدة؛ وهي عبارات أثارت خطأً السخرية وأكدّها قائد القوات الأمريكية في إفريقيا شخصياً: نتذكّر اضطراب الجنرال كارتر ف. هام، قائد أولى العمليات العسكرية الأمريكية قبل أن يزيحه النатов. كان قد استغرب اضطرابه لاختيار أهدافه استناداً إلى جواسيس في الميدان معروفين بأنهم حاربوا القوات المتحالفة في أفغانستان، أي بوضوح، رجال بن لادن.

أمّ البحرين، فهي تقدّم نفسها بوصفها مملكةً مستقلةً منذ العام ١٩٧١. في الحقيقة، لا تزال أرضها تدار على يد البريطانيين الذين اختاروا في ذلك الزمن الأمير خليفة رئيساً للوزراء وأبقوا عليه في هذا المنصب منذ أربعين عاماً متواصلة، بعد الاستقلال الذي شكلي وحتىّ اليوم. وهي استمرارية تثير الغبطة في قلوب آل السديري.

منح الملك حمد امتيازاً للولايات المتحدة التي أقامت في ميناء الجفير قيادة الأركان البحرية للقيادة المركزية والأسطول الخامس. في هذه الظروف، تعني المطالبة الشعبية بإقامة ملكية دستورية الوصول إلى استقلال حقيقي وانتهاء الوصاية البريطانية ورحيل القوات الأمريكية. وبالتأكيد، سوف يؤدّي مثل هذا التطور إلى عواقب في المملكة العربية السعودية ويهدد أسس النظام.

لقد أفتع السديريون ملك البحرين بسحق أي أمل شعبيّ بالدم. الأمير نايف ضمانة للنظام القائم، وهو وزير الداخلية والإعلام الصارم منذ ٤١ سنة.

في ١٢ آذار، أتى وزير الدفاع الأمريكي روبرت غيتس إلى المنامة لتنسيق العمليات التي بدأت غداة دخول القوات الخاصة السعودية التي تآتمر بأوامر الأمير نايف والمعروفة باسم «عقبان نايف».

في بضعة أيام، تمّ تدمير كلّ رموز الاحتجاج، بما في ذلك الصرح العام الذي أقيم في الماضي في ساحة اللؤلؤة. توفّي مئات الأشخاص أو اختفوا. ومجدداً، عاد التعذيب. الذي كان قد تمّ التخلّي عنه تقريباً منذ نحو عشر سنوات. اعتقل الأطباء والممرضون الذين اعتنوا بالمظاهرين الجرحى في مستشفياتهم وسجنوا سراً ثمّ أحيوا إلى المحاكم العسكرية.

غير أن أهمّ سمات هذا القمع الرهيب هي إرادة تحويل صراع طبقي كلاسيكيّ يعارض بين شعب بأكمله وطبقة من النخبة التي باعت نفسها لإمبريالية أجنبية إلى نزاع طائفي. بما أن غالبية البحرينيين من الشيعة في حين أن الأسرة الحاكمة سنية، تمّت الإشارة إلى المذهب الشيعي - حامل المثال الثوري الذي يجسده روح الله الخميني - بوصفه هدفاً. في شهر واحد، سوى «عقبان نايف»، بالأرض خمسة وعشرين مسجداً شيعياً وألحقوا الضرر ب٢٥ مسجداً آخر.

قريباً، سوف يحاكم ٢١ من القادة الرئيسيين للاحتجاج السياسي في محكمة استثنائية. وهم يتعرّضون لخطر الحكم عليهم بالإعدام. وتتكالب السلالة الحاكمة على إبراهيم شريف، رئيس حزب الوعد (يساري علماني)، أكثر من تكالها على الشيعة، إذ تتهمه بعدم لعب اللعبة الطائفية في حين أنه سنيّ.

١١ أيار ٢٠١١

# لا مثيل لها سواها

فادي الشافعي

في عصر الفرعوني تحتس الثالث كانت «رتن» في عصر الرومان دعيت باسم «ديوسبوليس»، في العهد الكنعاني صارت «لد»، فتحت على يد عمرو العاص في زمن الخطاب، فيها قبر الخضر، هبت عليها رياح الكوليرا، أصابها بالكثير من الوباء لكنها أبداً لم تمت، جنوبها الشرقي يافا، شمالها الشرقي صديقتها الرملة التي لا تفارقها سواء في سرد أو قصيدة.

اللد مدينة حقيقية، فيها مقبرة وشوارع، مطار وسكة حديد، مسجد وكنيسة، بئرا ماء وخران طويل، قاضيها جدي الأكبر العادل شهاب الدين، هاجر منها قسراً جدي الشاب، أورتني إياها عن ذاكرة لا تنسى.

لدي لا مثيل لها سوى اللد نفسها، مغروسة في تربتي التي خلقت منها كوردة مبللة، وأنا فراشة عمياء لم ترها لكنها تنسّم الرائحة التي تفوح من جدرانها القديمة، رائحة العطر الذي رشته جدتي الشابة يوم الزفاف.

لم أكن بوعي الشعر الكامل، لم أكن أعرف أنه شعراً حين كتبت نصي الأول، قصيدتي

الأولى، عن بيت حوله شجر الزيتون والطيور المغردة، كتبت فقط عن الحديث والحكايات التي تدخل بلطف على جلسة ما بعد العصر حين نلتف حول المدينة، نرى شهداءها الأحياء يرتدون ملابسهم المدنية، نرى تشعلت فيهم دماء الحنين لنا، نحن لنلتقي، في لد لا مثيل لها!

أتمشّى في خيالي، أدخل الباب القديم، بين الجدران التي يبرز على جانبيها زلف يافا القديمة، رائحة الملح في البحر، بقع الزيت وآثار البارود على البساط المغزول على نوال مجدلاوي الصوف تراثي النقش والتلويز.

متسرعاً قلت لجدي: لم هرب والدك؟ قال لي: لأن والدي خلع الطربوش، وغطى أنه وحاجبيه بالكوفية، حين كان يجلس في الغرفة التحتية يصلح ما تعطل من بنادق الثوار، ثم ضحك وقال: لو لم نهاجر لما كتبت لدد هذه القصيدة، أو حتى مات جدك ولم يفكر والدك بزيارة بحر يافا ليشكو للبحر حب أمك العزيزة!

يسرح جدي واللممة في يده، أتفرس ذهنه المحلوق، شواربه التي تغطي شفته البنية، ثم يعود لنا مرة أخرى من رحلة الذاكرة، يستطرد في الحديث عن المعصرة وبقايا



الزيتون الذي يتحول بأيديهم صابوناً يغسل رجس الطغاة من الأرض، الأرض الحمراء القاسية التي لا يحترثها إلا الرجال كما وصفها.

أسرح أنا، أمسك الفأس، أحرت، أحرت، أحرت... لكني لا أجد الأرض!

أعود في المساء إلى خوابي الذاكرة، أقلب قديمها وحديثها ومخزون القمح المتروك هناك كي نصنع عشاء العودة معاً، نغمس الزعتر، ونلين فتيل السراج، نطفئ نار الحسرة التي تآكل أوراق الفرح في طابون الذاكرة..

أسأل جدي المتذكر، المرغغ العينين، لماذا لم تلتقط صوراً لك في كل زقاق اللد كي ترينا إياها؟

يقول: لو عرفت أن اللجوء سيطول إلى ما بعدين الستين لما خرجت!

أسأل ثانية، هل من صور؟ يقول: آخر الصور حرق وتطارت كالعصافير، عندما قُصف منزلنا على حدود رفح..

آخر الصور الكارتونية من الحدود تطارت! وعودة الصورة في النص، أول النص!

■ ■

## البلاد طلبت أهلها

◀ زكريا محمد

ثم يلم نفسه وأغراضه، ويمضي. البلاد هي التي تطلب هنا، وعلى الشخص أن يخضع لطلبها. البلاد هي التي تأمر وعلى المغترب أن ينفذ أمرها. الأمر لا يتعلق بإرادته فقط. إرادته موجودة. لكن الإرادة الأعمق والأعلى هي إرادة البلاد، إرادة الأرض. هي السيد هنا والفرد هو

في الحكايات الشعبية الفلسطينية يقف البطل المغترب، عند لحظة معينة، ويبلغ مضيئه أو من هو عندهم في ديار الغربة قائلاً: «البلاد طلبت أهلها». يعني: لقد انتهت الرحلة، وحن موعد العودة إلى البيت.

وهم ملزمون بتنفيذ أمرها الذي لا يمكن رده. البلاد طلبت أهلها... هذا هو الوقت. البلاد طلبت أهلها... هذا هو الشعار. البلاد طلبت أهلها... البلاد طلبت أهلها... وكان أول من عاد حسن حجازي. طلبت يافا منه العودة، فلبى نداء يافا، وعاد.

حدودها مشكلين نهراً طويلاً من البشر. نهر العائدين الذين طلبتهم بلادهم يتدفق. يتدفق من جنوب لبنان، ومن الجولان ومن شرق الأردن، ومن كل مكان. نهر العائدين يتدفق. ويتدفق معه الدم الغض أيضاً على أسيجة الحدود. لكن النهر لن يتوقف. فالبلاد طلبت أهلها. هي تريدهم الآن. هي تأمرهم أن يعودوا.

العبد. هي تريد ابنها الغائب كما تريد أم طفلها، وعليه أن يستمع لصوتها الحنون الأمر. كل شيء يشير الآن إلى أن البلاد طلبت أهلها. عليهم أن يلملموا أنفسهم ويعودوا. حان وقت العودة. الأرض لا تستطيع أن تصبر، بعد، على غربة أبنائها. لقد طالت هذه الغربة. طالت أكثر مما ينبغي، والأرض تضح بطلب أبنائها. وقد فهم أبنائهم في أرض غربتهم طلبها، فجمعوا أنفسهم ومضوا إلى

■ ■

## ربما..!

### ميلاد الزحف

أن يجتاز الشَّباب شريط الحدود يعني أن اللاجئين يمسون زمام عودتهم، يعني أن حق العودة، ككل الحقوق الأخرى، ينتزع انتزاعاً ولا ينتظر مئة أحد..

ولعلّه من الصَّروري الآن التَّفكير بما يمثله الزَّحف الجماهيري إلى الأرض السَّلبية من فعل مقاوم مبتكر، يضع إسرائيل أمام ما زق لم تعهده من قبل من جهة، وتشعر كل إنسان بمساهمته في صناعة حرية وطنه من جهة أخرى..

ها هم اللاجئون يشعلون الدنيا التي أطفأ شمسها ظلام العالم من طغاة وغزاة في ذكرى نكبتهم، ها هم يستعيدون دورهم ومكانهم في المشهد.. ها هم يصعدون إلى السماء (باستعارة عنوان من مكسيم غوركي) ممثلين بوعي الحق ووحدرة المصير، مؤكدين قول غسان كنفاني: «في صفاء رؤيا الجماهير تكون الثورة جزءاً لا ينفصم عن الخبز والماء وأكف الكدح ونبض القلب»..

ها هم اللاجئون يصعدون إلى السماء، وها هي السماء تصعد إليهم..

يخبرنا ما حدث، في الجولان والجنوب اللبناني، أمراً بالغ الأهمية يفضّ الالتباس الجاري في المفاهيم، سياسية ووطنية، بين تمزق الفلسطينيين داخلاً وشتاتاً من جهة، وتمزقهم بمقابل كفة الانتفاضات العربية التي يراد وأدها لأن عنوان إنجازها الأكبر هو فلسطين.. من كل تلك التمزقات الجنوبية يقول ما جرى: بينما كانوا، طوال الوقت، يشتغلون بدأب الشمال على تفتيت معنى فلسطين، كانت فلسطين، طوال الوقت، تشتغل على توحيدهم..

منذ ١٥ / ٥ / ٢٠١١ تغير التاريخ والجغرافيا، تغيرت طرق الحلم وتفسيراته، استعاد الحب إشراقته البكر..

منذ ١٥ / ٥ / ٢٠١١ لم يعد هناك وقت للبكاء على الأطلال السياسية، ولا وقت لنندب المصير، ولا لرتاء الأمل.. الوقت كله لإعلان الزحف، إعلان الميلاد..

■ رائد وحش  
raedwahash@gmail.com

## نجوان درويش.. يروي سير البسطاء

بنصوص كانت أقرب إلى النص النثري شبه المفتوح، وأكثر من كونها قصائد نثر، افتتح الشاعر الفلسطيني نجوان درويش، برفقة عازفة البيانو زينة عصفور، مهرجان «كئنا.. وترانيم العودة»، الذي تقيمه دار الأندى في عمان بمناسبة مرور ٦٣ عاماً على النكبة.

تميّزت نصوص درويش بلغتها الهادئة البسيطة، وصورها الفنية والشعرية، مع محاولاته بأن يصنع المفارقات في النص، معتمداً على مبدأ قصيدة التوقيعية في أغلب النصوص، مؤكداً على تسلسل النص ضمن فكرة معينة ومحددة، حتى يختمه بجملة مكثفة تختزل الدهشة، تلك التي تحوّن النص أو المتلقي أحياناً، إذ يكون الأمر ملتبساً على أحدهما، ليحول ذلك من دون إدراك الدهشة تماماً، مثل قصيدته «مطار اللد»:

مقهى المطار شيء آخر  
حين يقعي أمامك تمثال «بن غوريون»  
بشعره النحاسي الأشعث مثل ضبع النهم ما لا يحصى  
من أهل تلك القرى التي كانت تجاور الشمس.  
مقهى المطار شيء آخر  
حين تفتصب الشمس مثل خادمة آسيوية  
في الممرات..

لكن في نصوص أخرى، استطاع درويش، الشاعر المقدسي، أن ينجو بالنص والمتلقي معاً، ليصنع مفارقاته التي حطمت فيها غطرسة العدو الصهيوني، وتوقو عليه في اقتراح جمالي يسعى للنيل منه دونما صراخ أو خطاب مباشر، مبرزاً جماليات الشعب الفلسطيني، ومن القصائد التي قدّم فيها هذه المفارقة، قصيدة «نساء اللد»:

نساء طويلات  
من الخشب اليابس  
لا تجد الذاكرة لهن تشبيهاً سوى الرمح  
كن رماحاً تشرب من الحافلات

حين يجتاز لزيارة القدس. كان هذا قبل قدوم مستوطنات قصيرات لا تجد الذاكرة لهن تشبيهاً.. سوى.. رصاص «الدمدم» تنوّعت نصوص صاحب ديوان «رسائل من سرّة الأرض» الصادر عن (دار الفيل - ٢٠١١)، في مواضيعها والجوانب التي تتناولها، فمنها ما كان يحاكي الهم الفلسطيني في ذكرى نكبته، ومنها كانت تتناول همّ ذاته الفردية، أو يستعرض هموم الإنسان في شتى بقاع الأرض، مثل نصه «إيرل غراي»، وهو نوع شاي آسيوي، تقطفه العاملات الآسيويات من حقولهم هناك، وهن ذاهن العاملات اللواتي يعملن في البيوت، في منطقتنا، مستحضرا فيها الروائي العربي عبد الرحمن منيف، في روايته «مدن الملح»، ومن النص:

اللواتي غرسن الشاي وقطفنه ليعلب في صناديق «إيرل غراي» هل يسامحنني، حين أشرب عذابات ٢٠٠ سنة في كأس شاي؟ هل يسامحنني شقيقاتي المباعات بمائتي دولار في مدن الملح؟

ومرّ أيضاً على العمال المصريين الذين يعملون

## «الزمن المتبقي» المستقبل حين يكون وليداً شرعياً للذاكرة

◀ نبيل محمد

«فلنا هنا في أرضنا ما نعمل.. ولنا ما ليس فيكم؛ وطن ينزف شعباً»..

لم يضع حينها الشاعر الراحل محمود درويش تفاصيل جغرافية ولا تاريخية للمكان سوى أنه نسب الأرض لأهلها وبمجرد هذه النسبة، فهناك إذا ما يعمل أصحاب هذه الأرض محتلة كانت أم لا، هي إذاً قدرة على خلق الحياة ما دام هناك صيغة ملكية للمكان، وهذا ما رأها بشكل جلي مبدع السينما الفلسطينية الحديثة إيليا سليمان في فيلمه «الزمن المتبقي»، الذي كان أهم الأعمال السينمائية التي تتناول فلسطين مؤخراً.

فؤاد سليمان ابن أرض الء ورغم كل ما حاق به وبأهله من ظلم ووبوعيه الشديد والمفرط لطبيعة الصراع العربي الصهيوني، وجد الحل الأمثل للمقاومة، وهي الوجود... بمعنى الحياة، لم يغادر مدينته ولم تغره الحياة في الأردن على الرغم من أن أخته أخذت حيزاً اجتماعياً وسياسياً هناك، إلا أنه كان يبحث

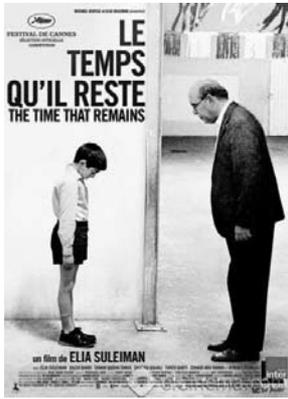
عن الحيز الخالد... فلسطين، عاش وزوجته وابنه إيليا، ليقدّم تجربة إنسان واجه كل شيء بالوعي والصمت مدركاً النتيجة الهائلة التي حققها، والتي تبدت معالمها فيما

بعد مع الجيل الجديد أبناء وأحفاد الء، الذين اكتشفوا أسلوب الحياة تحت وطأة الاحتلال.

إيليا يعود إلى مدينته في وقت مرض أمه ليجد إرث وعي والده متجسداً في الأجيال الجديدة، ويجد أمه تتبع أسلوب الصمت ومقاومة الموت، فالأب المصر على التدخين سابقاً رغم كل أمراضه عاش على هذه الأرض ملياً والآن الأم تآكل الأيس كريم رغم ارتفاع السكر عندها، فللحياة مجال آخر.. طالما أنها حياة من نوع آخر، وها هو الابن الصامت يرى ثواراً يرجمون المحتلين بالحجارة وامرأة تصيح بوجه جندي يأمرها بالعودة إلى منزلها قائلاً «عد أنت إلى منزلك»، وامرأة حامل تطمئن على جنينها في المستشفى في الوقت ذاته الذي يدخل هذا المستشفى مصاب برصاص الاحتلال، وأسير يسمع موسيقى التكنو، وشباب يرقصون في النايك كلوب غير مهمتمين بنداء الجيش يفرض حظر التجول، وشاب «ستابل» يحدث صديقه على الموبايل أمام مدفع دبابة يلاحقه أينما ذهب... هنا تبدو الصناعة الأسطورية للحياة التي توصل إيليا إلى نتيجة مفادها قدرة هذا الشعب على الخلود والاستمرار بصورة طبيعية كما رسم أبوه، لتجده يحمل عصا الزانة ويقفز متجاوزاً جدار الفصل العنصري في صورة سحرية غاية في الإبداع.

هناك في سماء الأرض المحتلة ألعاب نارية في العام الجديد، وهناك في البيت شجرة ميلاد، وأم تشرب القهوة على الشرفة، طفل يتجاوز الحدود دون تصريح دخول لبييع الفاصولياء للسكان، ورجل مخمور كلما حاول حرق نفسه لم يشتعل عود الثقاب وكلما شرب طرح نظرية جديدة في حل المسألة.. هو إذا غليان حياتي يقابله طرف آخر مدجج بالسلاح والألبسة الثقيلة والرعب... قاتل أراق الكثير من الدماء ولم يرتح يوماً.. وقتيل أريق دمه لكنه ما زال يعيش الصيد ويرقص التكنو ويقود التاكسي على وقع موسيقى صاخبة ويأكل الأيس كريم ويشرب العرق.

الزمن المتبقي هو عنوان انتقاء إيليا الشاهد على الذاكرة وروايتها ومخرجها حيث يعطي الزمن صيغة حصرية فيقول «الزمن المتبقي» إذا هنالك وقت ما لم يتبقى، ولكن السؤال الذي تجيب تفاصيل الفيلم عليه بوضوح من هو المستمر؟ كذلك يجيب محمود درويش.. كان اسمها فلسطين.. صار اسمها فلسطين.



في الأردن، بقصيدة عنوانها «عمال ميأومة»، والتي يرتفع فيها حسّ الاشتراكية في رسدها لهواجس هؤلاء العمال، فكأنه في القصيدة نزل لينتظر عملاً يجيئه وإياهم، ومنها:

نفسى أقصر من هذه السيجارة التي تحترق في يدك  
مع ذلك سأنتظر  
قلبي مطفأ أكثر من شمس الظهيرة  
ومع ذلك سأنتظر  
أحلب الأمل من ضروع هذه الشاة السوداء التي تسمونها اليأس  
وأعرف كيف أنتظر..

عابن درويش الأمل بقصيدة جاء عنوانها بالإنجليزية Reserved أي «محجوز»: حاولت مرة أن أجلس على واحد من مقاعد الأمل الشاغرة لكن كلمة reserved كانت تقعي هناك كالضبع لم أجلس، ولم يجلس أحد مقاعد الأمل دائماً محجوزة!!

■ ■

# ساعتان في مجدل شمس.. ساعتان في عين الشمس

◀ مهند عمر

حقول ألغام... أسلاك شائكة... شريط حدودي... قنابل مسيلة للدموع... رصاص حي... تجاوزنا كل ذلك لنصل إلى قرية مجدل شمس السورية المحتلة، ثلاثة وستون عاماً مضت لم تكسر إرادة شعبنا الفلسطيني، الذي انطلق شبابه من مختلف مخيمات اللجوء في يوم الزحف نحو فلسطين، ليحلبوا بأيديهم وحجارتهم حلم العودة إلى واقع، ليؤكدوا لقادة الاحتلال الصهيوني أننا شعب يموت كباراً ولكن صفاراً لا ينسون وطنهم أبداً.

الخامس عشر من أيار... على طول ثلاثة وستين عاماً حمل معه هذا اليوم آلام اللجوء، حمل معه اصطكاك أسنان أطفال المخيم برداً وخوفاً وجوعاً، حمل معه آهات العجائز، وذكريات لا تتسى حفرها كل فلسطيني جبل اللجوء الأول في ذاكرة أبنائهم، وهؤلاء هم من حفرها في ذاكرتنا، عندما اجتزنا حقل الألغام قفزت في لحظة كل ذكريات جدي إلى مخيلتي، تلاشى الخوف من الرصاص الحي والقنابل المنهمرة علينا، صهرنا جميعاً في ذلك الوادي اللعين لنصبح على رأي رجل واحد: «هذا عدونا... وهذه فلسطين اقتربت... حي على الجهاد»، ومع إصرارنا المتزايد على الوصول إلى مجدل شمس لمسنا الخوف في عيون الصهاينة، شعرنا بضعف هذا الكيان الذي يقات ويعيش على الرعب المتزايد في قلوب الزعامات والقيادات الفلسطينية والعربية، وتمسكهم بكراسيهم، وسعيهم لتأمين أفضل مستقبل لأولادهم وأقربائهم وأسبائهم تحت مسمى الثورة، وعلى حساب أجيال قدمت دماءها في سبيل العودة إلى فلسطين.

بعد أن قدمنا أربعة شهداء وعشرات الجرحى، وصلنا قرية مجدل شمس المحتلة، نظارد فلول «أعتى» جيش في المنطقة بالحجارة وبأحلامنا وصدورنا العارية، وهي كل ما كنا نملكه إلى جانب العزم والإرادة اللذين تربى عليهما كل فلسطيني،



قوات الاحتلال الصهيوني الأكثر تسليحاً وتدريباً، والتي أرهبت العرب سنين طويلة فرت أمام عشرات الفلسطينيين العزل... خرجت من مجدل شمس لتضرب طوقاً عسكرياً حولها، ويرفع اللاجئون العائدون علم فلسطين في ساحة مجدل شمس، ويهتفوا بصوت واحد مع أهالي المجدل: «الشعب يريد تحرير فلسطين... الشعب يريد تحرير الجولان»، أهالي القرية الذين اغرورقت مقلهم بدموع الفرح، استقبلونا بالعناق والقبل... بالورود والرز، فتحوا بيوتهم وصدورهم لهؤلاء القادمين المحملين بقهر وعذابات ثلاثة وستين عاماً، عشرات اللاجئيين الفلسطينيين حرروا مجدل شمس مدة ساعتين.

## بين قوسين

فلسطين..

البوصلة والهدف!

◀ جهاد أسعد محمد



لم يرتق مستوى التعاطي الرسمي العربي مع القضية الفلسطينية إلى الحد الذي يمكن أن يقال عنه، إنه استطاع في يوم ما أن يعبر عن إرادة الجماهير العربية ووجدانها وإمكاناتها وتطلعاتها.. لم يحصل ذلك لا في فترة الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦، ولا قبيل وبعد النكبة ١٩٤٨، ولا حتى في الفترة «الناصرية» وما تلاها.. بل يمكن التأكيد أن مستوى عالياً من عدم الرضا الشعبي عن أداء الحكام العرب ومؤسستهم الجامعة، ما انفك سائداً في الشارع العربي منذ ادعاء الأنظمة المتسلطة عليه أن القضية الفلسطينية هي قضيتهم المركزية، ولكن عدم الرضا العارم والشامل هذا، لم يتح له أن يترجم سلوكاً احتجاجياً صارخاً إلا ما ندر، بسبب القمع الشديد وانعدام الحريات العامة والحياة السياسية، وظل يعبر عن نفسه همساً ساخراً مراراً في الأماكن المغلقة بعيداً عن أعين وآذان العسس، مع كل تصريح «عنصري» أجوف يطلقه هذا الحاكم أو ذلك عقب مجزرة أو عدوان ضد الشعب الفلسطيني، أو مع كل بيان مليء بـ«سينات» التسويف تصدره «القمم» الدورية أو الطارئة.

وقد جاء منع الجماهير من التعبير عن سخطها على أداء النظام الرسمي العربي تجاه القضية الفلسطينية، وتجاه المقاومة الفلسطينية في الداخل والشوات، تتويجاً لمنعها من اتخاذ زمام المبادرة في عملية التحرير، أو المشاركة الجديدة فيها منذ وقوع المأساة الفلسطينية، ليضاف هذا التهميش والتحييد إلى حزمة الهموم والشجون الكبيرة التي راكمت الاحتقان الاجتماعي في صدور الجماهير، والذي يسفر عن نفسه اليوم على شكل احتجاجات شعبية واسعة ومتفارقة تمتد من المحيط إلى الخليج.

في سورية التي تعنيها القضية الفلسطينية أكثر من سواها في المشرق والمغرب لأسباب تاريخية /اجتماعية، وطبيعية، أدرك الحكام الذين تعاقبوا على حكم البلاد بعد الاستقلال، أن الموقف من الكيان الصهيوني ومن الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني هو من أهم عوامل قبول أو رفض النظام شعبياً، لذلك اضطروا جميعاً لمراعاة ذلك، ظاهرياً على الأقل في بعض الأمثلة، أو بتبني موقف صريح معاد للصهيونية وللكيان الغاصب في أمثلة أخرى، ولكنهم في العموم لم يتجاوزوا الحدود الدنيا «المفروضة شعبياً» في تعاطيهم مع القضية، وظلوا يراوحون ضمن المساحات الضيقة لهذه الحدود.. ولم تختلف الصورة كثيراً بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ واحتلال القسم الأكبر من الجولان، باستثناء محطات قصيرة (حرب تشرين المثل الأبرز)، بل ظل (أضعف الإيمان) هو الغالب، وخصوصاً بعد انهيار المنظومة الاشتراكية، وراح يتمثل واقعياً بمحاولة ممانعة المخططات والمشاريع الأمريكية والصهيونية قدر ما تتيجح الظروف الداخلية والخارجية، واللجوء إلى الدفاع في مواجهة بعض أشكال العدوان التي تكررت في أوقات متقاربة، ودعم بعض فصائل المقاومة الفلسطينية واللبنانية التي تشكلت بعد سقوط الرهانات على النظام الرسمي العربي..

ورغم أن انتصار تموز ٢٠٠٦، وصمود غزة ٢٠٠٨ أثبتا أن العدو الصهيوني ليس مطلق القدرة، وأن هزيمته وإنهاء وجوده كلياً واستعادة الأرض والحقوق ليس أمراً مستحيلًا، ورغم أن الأزمة الشاملة لداعميه ومموليه وحماته الرأسماليين العالميين أرخت بظلالها الثقيلة عليه وعليهم، إلا أن تجاوز الحدود الدنيا إلى الحدود القصوى، أي الانتقال من الممانعة إلى المقاومة، أو من الدفاع إلى الهجوم، لم يتم حتى الآن، علماً أن العدو ضعيف جداً، وبسبب ضعفه الشديد، يبذل كل ما بوسعه لتفتيت مقومات أي انقضاء محتمل عليه عبر محاولته بواسطة أزلامه وعملائه داخل جهاز الدولة السوري وخارجه إحداث أو تفعيل فوالق فتوية تناحرية لا تبقى ولا تذر.

الآن هو وقت الهجوم على العدو وسحقه.. وقت المعارك الحقيقية لا الوهمية، وقت الإيمان بالجماهير والإصغاء إلى مطالبها في الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الوطنية.. هذا ما أراد قوله الشباب الفلسطيني والعربي الذي اندفع أعزل إلى الأراضي المحتلة الفلسطينية والسورية رفضاً للنكبة ودفع دماءً في سبيل ذلك.. وهنا لا مجال للتكؤ أو التردد، فالوقت ضيق جداً، وقد يقتضيه العدو وينعطف به نحو نكبة جديدة أكثر إبلاماً وأوسع خطراً وتأثيراً..

فلنناجهم... الآن!!

mjjihad@kassioun.org

## حدث في مخيم خان الشيخ



صوت الإنذار الذي عودتنا عليه، بهتافات لشباب فلسطين عبر مكبراتها: «حيوا شباب فلسطين...»

«حيوا الأبطال...» رغم قلق الأمهات على مصير الأبناء الغائبين لم يتسائلن وهن يسمعن هذه العبارات، عمّن تتم له الإسعافات الأولية داخل سيارات الهلال الأحمر؟ فالقلوب في هذه اللحظات تغطي كامل التراب الفلسطيني. كل مصاب هو ابنها، وكل شهيد هو وليدها. هم شهداء فلسطين، كل فلسطين، من القدس حتى آخر مخيم على خريطة الألم.

تصل الأخبار وتجوب كل أزقة المخيمات. عبروا الحدود، تراجع الإسرائيليون المدججون بالسلاح.. الإسرائيليون خائفون.

ثلاثة شباب استشهدوا، والإصابات بالمئات. نساء فلسطين اللواتي دفعن أبناءهن إلى العودة تساءلن سريعاً عن جهة الرصاص؟

الجواب المطمئن الفرح جاء برداً وسلاماً على قلوبهن: «من الأمام، من الأمام...»

راحت كل امرأة تعيد للأخريات أبناء خوف الإسرائيليين من الشباب،

◀ سناء عون

الطريق أقصر مما كنا نتخيل. الطريق المفخم بشاخصات مرورية تحدد مسافة الوصول إلى الحدود، وتحذر من الاقتراب، تلاشت تحت وقع الأقدام فقط. تحولت بوصلة الاتجاهات، بدون مسافة، إلى فلسطين.

هل تلاشت المسافة حقاً؟ هل اختفت الحواجز أو تكاد؟ هل تخلصنا ببساطة من الوهم الذي زرع فينا لعقود طويلة؟ لا تبدو الإجابات مهمة أو ذات معنى بعد أن عرف الطريق بكل التفاتاته وتدرجاته الداخلية والخارجية. وتأكد أن طريق العودة أقصر بكثير من درب النزوح.

شوارع المخيمات، لن تعود بعد ذكرى النكبة الثالثة والستين كما كانت قبل هذا اليوم.

سيارات الإسعاف التي اخترقت مخيم خان الشيخ لساعات طويلة، جعلت الأمهات المسمرات أمام الشاشات، لسماع أخبار أبنائهن، يفلقن كل المحطات، ويهرعن إلى شوارع المخيم. فالأخبار هناك حية وأكثر صدقاً.

سيارات الإسعاف نفسها راحت تصدح بصوت جديد، مستبدلة

## عائد إلى يافا

حسن حجازي شاب فلسطيني يعمل في وزارة التربية السورية، ويبلغ من العمر ٢٨ عاماً. لم ير كغيره من فلسطينيي سورية أرض آبائه وأجداده، وكان بإمكانه الاكتفاء بالوقوف أمام السياج الفاصل في الجولان، الأحد الماضي، والتلويح من بعيد لتلك الأرض التي ينتمي إليها، لكنه ذهب أبعد من ذلك بكثير.

«كان حلمي أن أذهب إلى يافا» قال الشاب للقناة العاشرة الإسرائيلية، بعد أن تمكن من التجول في تل أبيب، طيلة يوم كامل. وتحدث حجازي للقناة الإسرائيلية عن طريقة وصوله من الجولان بعد أن صعد إلى حافلة كان يستقلها جنود إسرائيليون ونشطاء سلام، وجلس حسن إلى جانب جندي إسرائيلي في الرحلة التي امتدت مسافتها لأكثر من مئتي كيلومتر، أملاً في تحقيق حلمه.

وقال حسن إنه لم يخش من الجنود الذين كانوا في الحافلة، وأضاف «بل على العكس فإن الجندي الذي كان إلى جانبي هو من خاف مني».

وعلى الرغم من أن الشرطة الإسرائيلية أعلنت عن القبض على «ثلاثة متسللين» في مجدل شمس، وأشارت إلى اعتقال شخص رابع في تل أبيب، فإن حسن هو من سلم نفسه بعد المقابلة التلفزيونية، حيث لم يكن الإسرائيليون يعلمون بوجوده.

واعتبر حسن أن اختراق الحدود، والوصول إلى تل أبيب، يشكل بالدرجة الأولى «إنجازاً رمزياً»، أكثر مما يعتبر «انتصاراً»، وأضاف أن «الجيش» هي من ستحقق الانتصار الحقيقي.

وأعلنت المحكمة الإسرائيلية في تل أبيب، أمس، عن التحفظ على حسن حجازي حتى الخميس المقبل معتبرة أنه يشكل خطراً، لكنها أعطت الخيار للسلطات في مسألة ترحيله.

وقالت وسائل الإعلام الإسرائيلية إن الشرطة ستطالب بأن يبقى حسن قيد الاعتقال مع احتمال توجيه تهمة «الإقامة غير المشروعة على أراضي إسرائيل».

وحاول حسن، خلال جولته، أن يصل إلى منزل والديه في يافا الذي هجروا منه عام ١٩٤٨، بعد أن ساعده «نشطاء سلام» في الوصول إلى المدينة، ويبدو أنهم هم الذين ساعدوه في ركوب الباص، ودفع أجرته خلال الرحلة. ولم يتضح ما إذا كان قد وجد المنزل، أو حتى موقعه في المدينة، أم لا.

وفي تل أبيب أعلن حسن للصحافيين عن «الفخر بالعودة إلى يافا»، وقال إن هذا الهدى «ليس إسرائيل.. وأنا لا أعترف بشيء اسمه إسرائيل.. إنه بلدي فلسطين»، وأضاف «ربما هنالك فلسطينيون لا يريدون العودة لكن هنالك الكثير من اليهود الذين يريدون مغادرة فلسطين.. وأكد حسن على الموقف من ناحيته قائلاً «أريد البقاء حيث ولد والدي وجدي وسأجلب عائلتي أيضاً».

وكالات